العمل الاجتماعي وأثره في نشر الدعوة والنهوض بالمجتمع في واقعنا المعاصر

إعداد

د/ أحمد محمد زايد

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر – القاهرة

إصدار خاص ٢٠٠٧م

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان أن الدعوة إلى الله تعالى في جانبها الاجتماعي دعوة عملية، تعيش هموم الناس، ولا تقف عند حد النظريات في تبني تلك الهموم، بل تملك البرامج والحلول العلمية، والصور التنفيذية التي تنقذ الناس من أزماتهم الحياتية.

كما يتناول البحث العمل الاجتماعي في الإسلام، ودور الدعاة في تفعيله في الأمة.

ويستعرض البحث بالشرح والتحليل مفهوم العمل الاجتماعي وتأصيله الشرعي، ونماذج تاريخية منه، مفاهيم ينبغي أن تصحح في المجال الاجتماعي، والواقع الاجتماعي والاقتصادي للأمة الإسلامية، ونماذج من العمل الاجتماعي المعاصر عند المسلمين وعند غيرهم، وضوابط ومحاذير في مجال العمل الاجتماعي، وفوائد وآثار العمل الجماعي في نشر الدعوة وتنمية المجتمع.

وأخيرا ملحق ختامي فيه مقترحات للدعاة في مجال العمل الاجتماعي.

الكلمات الدلالية:

(العمل الاجتماعي– ضوابط– محاذير– الواقع الاجتماعي – مقترحات للدعاة)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الدعوة الإسلامية دعوة عملية، تظهر نظرياتها في صورة نماذج واقعية، اقتداء بصاحب الدعوة ﷺ الذي كان خلقه القرآن، وكان قرآنا يمشي على الأرض، فهي دعوة جاءت لتحقيق مصالح البشر في العاجل والآجل، يصدقها الناس وينصرونها يوم يرون دعاتها ينزلون إلى الميدان يشاركونهم آلامهم وآمالهم، ينصرون المظلوم ويخففون عن المحتاج، ويغيثون الملهوف، ويعيشون القضايا التي تعيشها الجماهير، وهذا هو الواجب " الاجتماعي للدعوة والدعاة" والذي هو أحد جوانب دعوة الإسلام المباركة.

لقد خطب رسول الله ﷺ في الناس يحفزهم على الصدقة لما دخل عليه أناس قد شحبت وجوههم وبدت عليهم علامات الفاقة والعوز، فأخذ المسلمون يتبرعون حتى غدت كومة كبيرة من شتى أنواع الصدقات بين يدي رسول الله ﷺ فقال: "**من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**"[1] هذه هي الدعوة العملية.

كان ﷺ حريصا على منع البطالة قدر الممكن من المجتمع الإسلامي الأول، فقال فيما صح عنه ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ"[2] وعند أحمد في المسند " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَا يَفْتَحُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ

---

[1]- رواه مسلم ك/ العلم ب/باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ورواه ابن ماجة / المقدمة باب من سن سنة حسنة أو سيئة ورواه غيرهم.

[2]- رواه البخاري ك / الزكاة ب/ الاستعفاف عن المسألة.

يَأْخُذُ الرَّجُلُ حَبْلَهُ فَيَعْمِدُ إِلَى الْجَبَلِ فَيَحْتَطِبُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَأْكُلُ بِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ مُعْطًى أَوْ مَمْنُوعًا"[1]

لقد كان ﷺ يتفقد الغائب، ويرحم الأرامل والأيتام إلى آخر ما هنالك من الأخلاق الاجتماعية التي تتناول قضايا الناس وهمومهم.

وفي واقعنا المعاصر نرى على مستوى الجانب النظري قلة العناية بتناول العمل الاجتماعي كتابة وتنظيرا حتى غدا مهملا أو كالمهمل فكانت الحاجة إلى الكتابة فيه.

وعلى المستوى العملي التوجيهي نرى الدعاة حيال العمل الاجتماعي ثلاثة أصناف:

- صنف لا يلتفت إلى العمل الاجتماعي وكأن الدعوة لا تعدو في نظره الكلمات الرنانة، والخطب المؤثرة، مع أن العمل الاجتماعي من صميم مهام الدعاة إلى الله تعالى، ومن أبرز توجيهات الإسلام.
- وصنف آخر غاية عمله في هذا الجانب التنبيه عليه مرة أو مرات دون أن يسلك في ذلك سبيلا عمليا ينفذ من خلاله تلك التوجيهات.
- وصنف – وهو قليل- هم أولئك الدعاة الوعاة الذين عاشوا مع الناس وحولوا كلماتهم إلى واقع عملي ملموس في المجال الاجتماعي.

وعلى مستوى العمل التنفيذ في المجال الاجتماعي رأينا كثيرا من التخبط ما بين ضياع للأولويات، وما بين حركة غير منضبطة من تصرفات فردية افتقدت كثيرا من التنظيم والمصداقية، إلى ضعف في شمول العمل الاجتماعي وقصره على بعض جوانبه....الخ.

---

١ رواه أحمد في مسند المكثرين.

وبما أن هذا الجانب نال من عناية الإسلام ورعايته وتوجيهاته الكثير، وفي ذات الوقت لم ينل من الدعاة – اليوم – من الرعاية والاهتمام إلا النذر اليسير، فإنني أكتب هذا البحث الدعوي الاجتماعي تنبيها إلى المسألة وتحفيزا عليها، ليكتمل جانب هام من جوانب العمل الدعوي وأسميته: "العمل الاجتماعي وأثره في نشر الدعوة والنهوض بالمجتمع في واقعنا المعاصر"

وأسأل الله تعالى حسن التوفيق في تسطيره، وأن ينفعني به والمسلمين في الدنيا والآخرة، وأن يكلله بالإخلاص لوجهه فيكون مقبولا.

وكتب / أحمد محمد زايد.

التمهيد

تبين في المقدمة أن الدعوة إلى الله تعالى في جانبها الاجتماعي دعوة عملية، تعيش هموم الناس، ولا تقف عند حد النظريات في تبني تلك الهموم، بل تملك البرامج والحلول العلمية، والصور التنفيذية التي تنقذ الناس من أزماتهم الحياتية، فتتحول الجماهير بذلك الخطاب إلى جماهير فاعلة، تحب العطاء وتكره أن تعيش عالة، ولقد رأيت فقرا في الحديث المباشر عن العمل الاجتماعي في الإسلام، ودور الدعاة في تفعيله في الأمة، فكان توفيق الله تعالى أن أرشدني إلى الكتابة في مثل هذا الموضوع الذي شغلني كثيرا، حاولت تأصيله على النحو التالي:

المبحث الأول: العمل الاجتماعي مفهومه وتأصيله الشرعي ونماذج تاريخية منه

المبحث الثاني: مفاهيم ينبغي أن تصحح في المجال الاجتماعي

المبحث الثالث: الواقع الاجتماعي والاقتصادي للأمة الإسلامية

المبحث الرابع: نماذج من العمل الاجتماعي المعاصر عند المسلمين وعند غيرهم.

المبحث الخامس: ضوابط ومحاذير في مجال العمل الاجتماعي

المبحث السادس: فوائد وآثار العمل الجماعي في نشر الدعوة وتنمية المجتمع

ملحق ختامي: مقترحات للدعاة في مجال العمل الاجتماعي

والله أسأل التوفيق والسداد

المبحث الأول

العمل الاجتماعي مفهومه وتأصيله الشرعي ونماذج تاريخية منه

أولا: مفهوم العمل الاجتماعي

يمكن تعريف العمل الاجتماعي المقصود في هذا البحث بأنه "بذل وإسهام في أعمال الرعاية والتنمية الاجتماعية بكافة الوسائل والأشكال النظرية والعملية الشرعية الممكنة ابتغاء وجه الله تعالى ".

ويمكن تعريفه بأنه: "هو بذلٌ مالي أو عيني أو بدني أو فكري يقدمه المسلم عن رضا وقناعة بدافع من دينه بدون مقابل بقصد الإسهام في مصالح معتبرة شرعاً"

الجانب الاجتماعي في الإسلام جانب متميز، ولا تزال البشرية حتى الآن عاجزة عن سن قوانين وتشريعات اجتماعية تقارب الإسلام أو تدانيه، فلم نجد في دين سماوي سابق، ولا في نحلة أرضية حاضرة مثل ما شرعه الله تعالى في الجانب الاجتماعي، ولقد أخفقت كل الأنظمة الوضعية في تحقيق عدالة اجتماعية يسعد في ظلها البشر، كما أخفقت في قيام نظام اجتماعي تتحقق فيه المصالح لكل الناس من كل وجه، ولم يبق إلا الإسلام الدين الرباني الذي حدد معالم نظام اجتماعي كفل للناس فيه سعادتهم وحقوقهم من كافة الوجوه وفي كل الأحوال، وتوفرت النصوص القرآنية والنبوية المبينة لذلك كله.

وفيما يلي محاولة في بيان التأصيل الشرعي للعمل الاجتماعي، تنبيها للدعاة أن عليهم فروضا عملية كثيرة هي فروض كفاية، وأحيانا فروض أعيان غابت عن العمل الدعوي المعاصر وكان لغيابها أثر سلبي أخر مسيرة العمل الإسلامي بل ومسيرة النهضة الإسلامية بصورة عامة.

ثانيا: التأصيل الشرعي للعمل الاجتماعي

العمل الاجتماعي كما سبق عمل موجه إلى المجتمع لتنميته وحل مشكلاته والنهوض به، وذلك بالسعي في مصالح المسلمين وقضاء حاجاتهم المادية والمعنوية، وما أكثر حاجات الناس اليوم في ظل حياة بعيدة في جوانب كثيرة عن شريعة الله العادلة.

هذا العمل الاجتماعي جزء من نظام الإسلام حثت عليه شريعته ونظمه، وهذا طرف في بيان ذلك.

١- نماذج نبوية تسعى في حاجات الناس (موسى ويوسف عليهما السلام)

أما موسى عليه السلام وأخوه هارون فهما نبيان من أنبياء بني إسرائيل، كان من بين عظيم أعمالهما التقدم إلى فرعون طاغية زمانه يطالبانه برفع الظلم عن بني إسرائيل وتحريرهم من الاستبداد وإنقاذهم من العذاب، جاء في القرآن قول موسى عليه السلام لفرعون:(فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى)[١].

قال القرطبي مبينا طرفا مما كان بنو إسرائيل يتعرضون له على يد فرعون " والمعنى: فأتياه فقالا له ذلك. "فأرسل معنا بني إسرائيل" أي خل عنهم. "ولا تعذبهم" أي بالسخرة والتعب في العمل، وكانت بنو إسرائيل عند فرعون في عذاب شديد؛ يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ويكلفهم من العمل في الطين واللبن وبناء المدائن مالا يطيقونه"[٢].

---

[١] – سورة طه – آية ٤٧.

[٢] – الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٨٤)تحقيق :عبد الرازق المهدي ط أولى – دار الكتاب العربي- بيروت – ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

إن قضية الحريات وإنقاذ الجماهير من نير الاستبداد والاستعباد المادي والمعنوي من أخص مطالب الجماهير، إلا أن تلك الجماهير تحتاج إلى لسان ناطق معبر تحتشد خلفه للمطالبة بتلك الحقوق الأصيلة التي هي – في نظري– من المقاصد الكلية لشريعة الإسلام التي يجب حفظها.

ومن هذا النموذج النبوي يتبين ما ينبغي أن يكون عليه الدعاة من تبني قضايا جماهيرهم أيا كانت تلك القضية، ولابد أن يتهيأ الدعاة لتحمل ما يمكن توقعه في هذا الطريق من ابتلاء ربما يتعرضون له بسبب ذلك، كما وقع لموسى وأخيه عليهما السلام.

وأما يوسف عليه السلام فهو نموذج عملي ذكره القرآن الكريم وحث النبي ﷺ والمؤمنين على الاقتداء به، فهو عليه السلام ينشغل بقضية تشغل عقول الناس وقلوبهم كثيرا، إنها قضية العيش، لقمة العيش التي تلهث وراءها الجماهير وتبذل وتعرق في سبيل تحصيلها وتأمينها، يأتي رسول الملك يعرض رؤيا الملك على يوسف فأولها له عليه السلام بحكمة بالغة، وحثه أن يخبر الملك بضرورة التخطيط لسنوات عجاف، ومجاعة قادمة لا يجد الناس فيها لقمة العيش ﴿**قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون**﴾[1] فهذه مشاركة دعوية في قضية تهم الناس، بل على رأس اهتماماتهم، ثم إنه عليه السلام بعد أن دارت الأيام، وانقضت أيام السجن وخرج ليُمكَّن في الأرض بأمر الله، قال للملك " اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم"[2]

---

[1] – سورة يوسف — آيات ٤٧– ٤٩.

[2] – سورة يوسف – آية ٥٥

يقول ابن كثير في تفسيره معلقا على هذه الآية الكريمة: "مدح نفسه، ويجوز للرجل ذلك إذا جُهِل أمره للحاجة، وذكر أنه {**حفيظ**} أي خازن أمين، {**عليم**} ذو علم وبصيرة بما يتولاه. وقال شيبة بن نعامة: حفيظ لما استودعتني، عليم بسني الجدب، رواه ابن أبي حاتم، وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه ولما فيه من المصالح للناس، وإنما سأله أن يجعله على خزائن الأرض، وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، فيتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد، فأجيب إلى ذلك رغبة فيه وتكرمة له"[1].

وهكذا الداعية يبادر متى وجد في نفسه الكفاءة والأهلية ليقوم بالقسط والعدل ويحقق للناس مصلحةً حاجتهم إليها ماسة، ومصالح الناس تحتاج من يتحرك لها ويقوم بها بل ويطالب بها عند ولاة الأمور وذلك من الشفاعة الحسنة المثاب عليها.

٢- نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة تدعو إلى العمل الاجتماعي بل وتفرضه

بعد أن عرض القرآن نماذج عملية لأنبياء سابقين يبين فيها جهدهم في حمل هموم أقوامهم وسعيهم في القيام بمصالحهم- وهذا تعليم وتوجيه لأهل الإسلام بالتأسي والاقتداء- ينتقل إلى أسلوب آخر في ذات الموضوع، وذلك من أساليب القرآن في عرض قضاياه، حيث ينوع الأساليب، ويعدد النماذج زيادة في البيان، ودفعا للسآمة، ومراعاة لشتى أنواع النفوس – فيورد القرآن نصوصا مباشرة في هذا الباب منها:

١) بذل الشفاعة الحسنة

قال تعالى: ﴿**من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها**﴾[2].

---

[1] – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٩/٢ تحقيق : خالد محمد محرم ط أولى – دار العبيكان – السعودية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

[2] – سورة النساء آية: ٨٥.

قال ابن كثير "أي من يسعى في أمر فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك،... كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء»[1]، وقال مجاهد بن جبر: نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض.[2] وقال ابن عطية: "قوله تعالى ﴿**من يشفع شفاعة حسنة**﴾ الآية. أصل الشفاعة والشفعة ونحوها من الشفع وهو الزوج في العدد لأن الشافع ثان لوتر المذنب والشفيع ثان لوتر المشتري، واختلف في هذه الآية المتأولون فقال الطبري: المعنى من يشفع وتر الإسلام بالمعونة للمسلمين، أو من يشفع وتر الكفر بالمعونة على الإسلام، ودله على هذا التأويل ما تقدم من أمر القتال، وقال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم فمن يشفع لينفع فله نصيب ومن يشفع ليضر فله كفل "[3]

فالمسلم يشفع للناس شفاعة يترتب عليها خير،وتصل بها الحقوق إلى أصحابها، فيؤجر وينال نصيبا من خير شفاعته يوم القيامة.

وفي الحديث: "ليبلغ الشاهد الغائب،أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه، ثبت الله قدميه يوم القيامة"[4]، وما أكثر حاجات الناس اليوم التي تحتاج إلى تدخل من ذوي الوجاهة والمكانة

---

[1] – رواه البخاري ك/ الزكاة ب/ التحريض على الصدقة والشفاعة فيها (١٣٤٢) ومسلم ك/ البر والصلة والآداب ب/ استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام (٤٧٦١) وغيرهم.

[2] – فتح القدير تهذيب تفسير ابن كثير للقاضي الشيخ / محمد أحمد كنعان ١٠٨/٢-١٠٩ ط أولى –دار لبنان للطباعة والتوزيع –بيروت ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م٠

[3] – المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ص ٤٦١ ط الأولى– دار ابن حزم ١٤٢٣ – ٢٠٠٢م طبعة ذات مجلد واحد.

[4] – لم أقف عليه.

والعلم، وأجدر الناس ببذل الشفاعة لمعونة المسلمين هم الدعاة، فالشفاعة الحسنة من أعظم الأعمال التي يخدم الداعية بها مجتمعه، فيحقق للناس شيئا من مطالبهم بجاهه ومكانته، ولا شك أن لهذا أثرا كبيرا في قبول الناس لأي كلمة يقولها الداعية بعد أن وجدوا فيه نموذجا في السعي لقضاء جوائجهم وتحقيق مصالحهم.

٢) الحض على إطعام الفقير المسكين

المسكين ما يجد ما يقع موقعا من كفايته لكنه لا يجد تمام الكفاية، والفقير ما لا يجد كفايته، قال ابن عطية في تفسير آية الزكاة في سورة التوبة مبينا اختلاف العلماء في معنى الفقير والمسكين: "ومع هذا الاختلاف فإنهما صنفان يعمهما الإقلال والفاقة"[١] هؤلاء المساكين- وهو اليوم كثير بين المسلمين- تأكلهم البطالة، وترهقهم الحاجة والعوز، هؤلاء يأمر القرآن بدفع الزكاة إليهم كفريضة، ويأمر بإطعامهم وحض الآخرين على ذلك، بل يجعل من التكذيب بالدين عدم إطعامهم وعدم الحض على إطعامهم، قال تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾[٢].

يقول سيد قطب في هذه الآيات: "إنها تبدأ بهذا الاستفهام الذي يوجه كل من تتأتى منه الرؤية ليرى: ﴿**أرأيت الذي يكذب بالدين**﴾ وينتظر من يسمع هذا الاستفهام ليرى إلى أين تتجه الإشارة وإلى من تتجه؟ ومن هو هذا الذي يكذب بالدين، والذي يقرر القرآن أنه يكذب بالدين.. وإذا الجواب: ﴿ **فذلك الذي يدعُّ اليتيم. ولا يحض على طعام المسكين**﴾!

---

[١] - المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي (٨٥٥).

[٢] - سورة الماعون آيات ١- ٣.

وقد تكون هذه مفاجأة بالقياس إلى تعريف الإيمان التقليدي.. ولكن هذا هو لباب الأمر وحقيقته.. إن الذي يكذب بالدين هو الذي يدفع اليتيم دفعا بعنف – أي الذي يهين اليتيم ويؤذيه. والذي لا يحض على طعام المسكين ولا يوصي برعايته. فلو صدَّق بالدين حقا، ولو استقرت حقيقة التصديق في قلبه ما كان ليدع اليتيم، وما كان ليقعد عن الحض على طعام المسكين.

إن حقيقة التصديق بالدين ليست كلمة تقال باللسان ؛ إنما هي تحول في القلب يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه في البشرية، المحتاجين إلى الرعاية والحماية. والله لا يريد من الناس كلمات، إنما يريد منهم معها أعمالا تصدقها، وإلا فهي هباء، لا وزن لها عنده ولا اعتبار.

وليس أصرح من هذه الآيات الثلاث في تقرير هذه الحقيقة التي تمثل روح هذه العقيدة وطبيعة هذا الدين أصدق تمثيل"[1]

ويقول تعالى معددا أسباب عذاب الكافر في جهنم والعياذ بالله ﴿ **إنه كان لا يؤمن بالله العظيم. ولا يحض على طعام المسكين**﴾[2]. فهذا الكافر الشقي كما يقول سيد قطب أيضا: "قد خلا قلبه من الإيمان بالله، والرحمة بالعباد. فلم يعد هذا القلب يصلح إلا لهذه النار وذلك العذاب، خلا قلبه من الإيمان بالله فهو موات، وهو خرب، وهو بور، وهو خلو من النور، وهو مسخ من الكائنات لا يساوي الحيوان بل لا يساوي الجماد. فكل شيء مؤمن، يسبح بحمد ربه، موصول بمصدر وجوده. أما هو فمقطوع من الله، مقطوع من الوجود المؤمن بالله.

---

[1] – القطوف الحسان من في ظلال القرآن انتقاء : عبد العزيز بن شاكر البغدادي ٢/٦٢٤-٦٢٥ ط أولى دار عالم الكتب – ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

[2] – الحاقة آيات: ٣٣- ٣٤.

وخلا قلبه من الرحمة بالعباد، والمسكين هو أحوج العباد إلى الرحمة ولكن هذا لم يستشعر قلبه ما يدعو إلى الاحتفال بأمر المسكين، ولم يحض على طعامه وهي خطوة وراء إطعامه. توحي بأن هناك واجبا اجتماعيا يتحاض عليه المؤمنون. وهو وثيق الصلة بالإيمان، يليه في النص ويليه في الميزان"[1]

فالإسلام يحث الناس على واجباتهم الاجتماعية حتى لا يُنسى هؤلاء الذين قدر الله عليهم أرزاقهم، وحتى يظهر أثر الإيمان والخلق بين المسلمين.

٣) الجهاد لإنقاذ المستضعفين وتحرير المقهورين

قال الله تعالى: ﴿ **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**﴾[2]

والمعنى "كيف تقعدون عن القتال في سبيل الله ؛ واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ؟ هؤلاء الذين ترتسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم، وكرامة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق ؟ هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة، لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم، والفتنة في دينهم. والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والنفس والعرض، لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني، الذي تتبعه كرامة النفس والعرض، وحق المال والأرض !

ومشهد المرأة الكسيرة والولد الضعيف، مشهد مؤثر مثير، لا يقل عنه مشهد الشيوخ الذين لا يملكون أن يدفعوا – وبخاصة حين يكون الدفع عن الدين والعقيدة – وهذا المشهد

---

[1] – السابق.

[2] – سورة النساء — آية ٧٥.

كله معروض في مجال الدعوة إلى الجهاد. وهو وحده يكفي، لذلك يستنكر القعود عن لاستجابة لهذه الصرخات.. وهو أسلوب عميق الوقع، بعيد الغور في مسارب الشعور والإحساس"[1]

إن الجهاد في سبيل الله والمستضعفين عمل اجتماعي هائل يحرك الأمة كلها لتَبنِّي هموم هذه الفئات،ودفع الظلم والاستضعاف عنهم،هذا هو الإيمان العملي وإلا فما قيمة الإيمان الذي يحمله المسلمون في قلوبهم، وما قيمة الكلمات التي يطلقها الدعاة سائر الأوقات بواجبات الإخوة حقوقها. وقد تقدم كيف تحرك موسى عليه السلام لإنقاذ بني إسرائيل المستضعفين عند فرعون.

٤) الحث على تفريج الكروب وتنفيس الهموم وقضاء الحاجات

وفي هذا وردت أحاديث عديدة تُفَعِّل الحركة الاجتماعية في أوساط المسلمين ليشعر المسلم أن له إخوة في الدين كلهم كالجسد الواحد، من ذلك قول النبي ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة".[2]

وفي التيسير على المعسرين وتفريج كرب المكروبين والسعي في حاجة ذوي الحاجات يأتي هذا الحديث أيضا عن النبي ﷺ يقول: من نفس عن مسلم كربة من كرب

---

[1] – القطوف الحسان من في ظلال القرآن ١/٢٤٧-٢٤٨.

[2] – رواه البخاري ك /المظالم –باب/ في المظالم والغصب.

الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"[1]

٥) تقرير مبدأ التكافل والمساواة والرحمة

جاء الإسلام بنظام رباني عادل، وبفلسفة اجتماعية متوازنة تقوم على مبادئ جوهرية، هي واجبات وفرائض وليست تطوعات أو نوافل.

من هذه المبادئ: **مبدأ التكافل الاجتماعي**، فالإنسان له مخاوف شتى من بينها مخاوفه حول معاشه ومعاش من يعول،ومخاوفه حول أموره المادية ومستقبل أولاده، لهذا جاء الإسلام ليحقق للإنسان نوع أمن وطمأنينة لينجو من تلك المخاوف الملحة فقرر هذا المبدأ العظيم (التكافل) وتضمن هذا المبدأ عدة مفاهيم منها:

١- **أن المال مال الله تعالى** والبشر مستخلفون فيه قال تعالى: ﴿ **آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**"[2] وقال سبحانه: ﴿ **وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُم**﴾[3]

٢- **المال لمجموع الناس لا لآحادهم** قال تعالى: ﴿ **كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم**﴾[4] وقال سبحانه: ﴿ **الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان** ﴾[5] وقال:

---

[1] – رواه أبو دا ود ك/ الأدب –ب / في المعونة للمسلم (٤٢٩٥) والترمذي ك/ البر والصلة ب / ما جاء في الستر على المسلم (١٨٥٣) وغيرهما.

[2] – سورة الحديد – آية ٧.

[3] – سورة النور – آية ٣٣.

[4] – سورة الحشر – آية ٧.

[5] – سورة الشورى – آية– ١٧.

﴿ **وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾[1] (والتكافل الاجتماعي في الثروات والأموال والمعاش هو الصورة الاجتماعية الآمنة لهذا الميزان الإلهي في علاقة الإنسان – الخليفة – بالثروات والأموال، التي استخلفه الله فيها).[2]

٣– **إنفاق العفو** وهو ما زاد عن حاجة الإنسان قال تعالى: ﴿ **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو** ﴾[3] قال ابن عطية: "قال قيس بن سعد: هذه الزكاة المفروضة، وقال جمهور العلماء بل هي نفقات التطوع، وقال بعضهم نسخت بالزكاة، وقال آخرون هي محكمة وفي المال حق سوى الزكاة، و"العفو" هو ما ينفقه المرء دون أن يجهد نفسه وماله ونحو هذا هي عبارة المفسرين وهو مأخوذ من عفا الشيء إذا كثر، فالمعنى أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة. وروي أن النبي ﷺ قال: "من كان له فضل فلينفقه على نفسه ثم على من يعول فإن فضل شيء فليتصدق به" وقال ﷺ: "خير الصدقة ما أبقت غنى" وفي حديث آخر: "ما كان عن ظهر غنى"[4]

٤– **محاربة القارونية الكانزة** : ذكر الله تعالى قصة قارون لتكون محل عظة واعتبار للأمة، فليس في الإسلام تلك النفسية الجشعة التي تنسب الفضل في تحصيل المال لنفسها وجهدها، وليس من أخلاق أهل الفضل تلك الأنانية المُنسية التي كان عليها

---

[1] – سورة الحديد – آية ٢٥.

[2] – الإسلام والأمن الاجتماعي د/ محمد عمارة ص ٣٦– ط الأولى – دار الشروق– ١٩٩٨ م – القاهرة.

[3] – سورة البقرة – آية ٢١٩

[4] – المحرر الوجيز (١٩٣) والحديث الأول لم أقف عليه. والحديث الثاني رواه البخاري ك/ الزكاة ب/ لا صدقة إلا عن ظهر غنى. ومسلم ك/ الزكاة ب/ باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة، وأن السفلى هي الآخذة

قارون، بل الحق ما قاله الحق تعالى: ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك**﴾[1] وقوله: ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ يعنى "فما لك في هذا المال هو نصيب منه وليس جميعه. ﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ فاستخلاف الله لك في المال هو سبيل ووظيفة اجتماعية يعبر به المال إلى المستحقين فيه من عامة الخلفاء المستخلفين لله فيه".[2]

وقد توعد الله تعالى أولئك الكانزين المانعين حقوق الآخرين من مال الله فقال سبحانه: ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾.[3]

أما مبدأ العدالة، فالعدالة قامت عليها السماوات والأرض، ولكي يأمن الناس على معايشهم ومعايش ذويهم قام العدل الإلهي في هذا الجانب، وقررت الشريعة حرمة الظلم وفرضية العدل الاجتماعي، وقد طولب النبي ﷺ بالعدل ﴿ **وأمرت لأعدل بينكم** ﴾[4] وطولب به الحكام والقضاة وكل ذي سلطان: ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾[5] والعدل ضد الجور، ويبدأ هذا الأمر من العدل بين الأولاد حتى يصل إلى العدل مع العدو ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**

---

[1] – سورة القصص – آية ٧٧.

[2] – الإسلام والأمن الاجتماعي ص ٤١ –٤٢ سابق.

[3] – سورة التوبة– آيات ٣٤ – ٤٥.

[4] – سورة الشورى – آية ١٥.

[5] – سورة النساء – آية ٥٨.

﴾[1]،ومن أعظم صور العدل: العدل بين الناس في الحصول على حقوقهم، ومن أهم تلك الحقوق المالية والنفسية وأن يعاملوا كبشر يشعر الناس بهم آمالا وآلاما، لو تحقق هذا في مجتمعاتنا الإسلامية لوصل إلى كل امرئ حقه، فارتفعت كثير من معاناة الشعوب البائسة التي تستجدي حقوقها بدلا من أن تطلبها بعزة نفس.

أما الرحمة فهي روح الحياة، وهي من صفات الرحمن تعالى ورسوله ﷺ، وهي أبرز أخلاق المؤمنين، ومن هنا فالحياة الإسلامية تقوم ومن بين أسسها تلك الرحمة التي يتحرك بها قلب الغني نحو الفقير فيعطيه مما أعطاه الله، ويتحرك بها الصحيح نحو المريض فيشفق عليه ويعينه، فلا يهنأ المسلم حتى يُسعد المحزونين، ويساعد المحتاجين، ويحرر المستضعفين، لأنه يحب لهم ما يحب لنفسه، فهو حينما يسعى في حوائجهم فبداع الرحمة، وحينما يطالب بحقوقهم ويضحي من أجلهم فبدافع الرحمة وهكذا.

بهذه المبادئ نجد الإسلام يضع منهاجا اجتماعيا يتحقق به الأمن النفسي والاجتماعي، وهي في الحقيقة جملة واجبات وأعمال وأنشطة لا بد لكل مصلح بل على كل مسلم القيام بها تصديقا لإيمانه وتحقيقا للأخوة بينه وبين المسلمين، وإلا فكيف يشعر الناس بالأخوة، ومتى يحقق المسلم معاني الإيمان إذا لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

٥– **الاهتمام بأمور المسلمين عامة**: جاء في الحديث الشريف: "من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم"[2] وأمر هنا نكرة فتعم كل أمر يخص الأمة وأبناءها دينيا

---

[1] – المائدة – آية ٨.

[2] الحديث رواه الطبراني في الأوسط برقم / ٤٧٤ ونصه عن أبي ذر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء ومن لم يهتم بالمسلمين فليس منهم ومن أعطى الذل من نفسه طائعا غير مكره فليس منا لا يروى هذا الحديث إلا بهذا الإسناد تفرد به يزيد بن ربيعة.

كان أو دنيويا، في كافة الشئون، وهذا ترهيب وفي نفس الوقت دعوة قوية للإيجابية في التعاطي مع قضايا الأمة المحلية والعالمية، لأن المسلمين كالجسد الواحد، فالمسلم الحق صاحب الإيمان الحي يعيش مع الأمة، فينصر المظلوم، ويكسب المعدوم، وتسهر عيناه في مصالح الناس وتدبير شئونهم، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "ما من مسلم يخذل مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته"[1].

ومن أحسن ما قرأت في الاهتمام العملي بأمور المسلمين ما جاء في معجم فقه السلف "قسم سعد بن عبادة ماله بين بنيه في حياته فولد له بعد ما مات، فلقي عمر أبا بكر فقال له: ما نمت الليلة من أجل ابن سعد هذا المولود لم يُترَك له شيء. فقال أبو بكر: وأنا والله. فانطلق بنا إلى قيس بن سعد فكلمه في أخيه. فأتياه فكلماه فقال قيس: أما شيء أمضاه سعد فلا أرُدُّه أبدا، ولكني أشهدكما أن نصيبي له.[2] إنه موقف إيماني رائع حركته تلك المشاعر الإيمانية الإنسانية التي تشعر بالآخرين وتحمل همومهم، وتفكر فيها، حتى إن الهم والفكر ليشغلها فيذهب عنها النوم، في شأن طفل مولود، ربما لا يؤبه له عند كثير من الناس، لكنها التربية النبوية التي تجلت في موقف هذين الجليلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

---

[1] – الحديث رواه أبو داود في السنن ك/ الأدب – باب من رد عن مسلم غيبة حديث رقم ٤٨٨٤.

[2] – موقف الإسلام من تفضيل بعض الأولاد على بعض في الهبة د/ محمد إبراهيم الحفناوي ص ١٨ ط أولى –١٩٨٧م–دار الصحابة للتراث –طنطا – مصر.

وجملة القول أن الإسلام حث على أن يخرج المسلم من دائرة نفسه المحدودة ليعيش هموم أمة، مع اليتيم والمقهور والمظلوم والمريض والفقير والجاهل والعاجز والأسير، وواجب الأخوة الإيمانية يقتضي أن يحمل المسلم هذه الهموم ويسعى في واجبه نحوها.

وكثيرة تلك المبادئ والقيم والتوجيهات الاجتماعية التي وضعها الإسلام لقيام الحياة الإسلامية في جانبها الاجتماعي قياما صحيحا تسوده العدالة والإنسانية والأخوة والرحمة والعدل، وتختفي فيه معاني الأثرة والشح والجور.

ثالثا: نماذج من تاريخنا الإسلامي في العمل الاجتماعي

تحولت النظريات والتوجيهات الإسلامية في المجال الاجتماعي في تاريخ الأمة إلى أعمال ومشروعات عظمى يرفع بها المسلم هامته اعتزازا وفخرا، وهذه بعض النماذج المختلفة أسوقها دون النظر إلى تاريخها تقدما أو تأخرا.

١- حلف الفضول بين الماضي والحاضر

بعد حرب الفجار التي وقعت وعمره ﷺ عشرون سنة تم ما يعرف في السير بحلف الفضول، وسببه كما كتب أصحاب السير: أن رجلا من زبيد باليمن قدم مكة ببضاعة واشتراها منه العاص بن وائل السهمي وحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الأحلاف عبد الدار ومخزوما، وجمحا وسهما وعديًّا فلم يكترثوا له، فعلا جبلَ أبي قُبيس، ونادى بأشعار يصف فيها ظلامته رافعا صوته، فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا مترك؟ حتى اجتمع الذين مضى ذكرهم في حلف الفضول، فعقدوا الحلف ثم قاموا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه حق الزبيدي.[١] هذا الحلف الذي ناقض عمل أهل الجاهلية التي كان عمادها العصبية، تقررت فيه نصرة المظلوم، حيث تعاقد أهل مكة على ألا يجدوا بمكة

[١] – الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص ٧٧ ط أولى ١٩٩٩ م – مكتبة الرشد –السعودية.

مظلوما من أهلها وسائر الناس إلا قاموا معه، وهذا عمل اجتماعي عظيم، فما أكثر المظالم التي يقع فيها الناس، وتقع عليهم، تضيع فيها الحقوق ويظلم فيها أناس يودون أن لو نصرهم أصحاب الكلمة والمروءة.

عن هذا الحلف يقول ﷺ: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت".[1]

وهذه إشارة إلى أن أي مسلم من واجبه الاجتماعي أن يشارك في رفع الظلم عن المظلومين، سواء تحقق ذلك عن طريق تكوين لجان أهلية، أو أحلاف على غرار هذا الحلف المبارك الذي تمنى رسول الله ﷺ أن لو دعي إلى مثله في الإسلام.

وبإمكان الدعاة وأهل العلم أن يكونوا حلف فضول إسلامي معاصر في قراهم ومدنهم وعلى مستوى أحيائهم السكنية، يخفف عن الناس مظالمهم ويسرع في حل مشكلاتهم بعيدا عن طرق القضاء الطويلة الذيل القليلة النيل.

٢- الرسول ﷺ يتحمل ديون المدينين

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب يقول: "من مات وترك مالا فلأهله، ومن ترك دينا أو ضياعا فإليَّ وعليَّ"[2] وشاع هذا الخلق حتى تشربته الصحابة الكرام، روى الدارقطني من حديث علي: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بجنازة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل ويسأل عن دَينه، فإن قيل عليه دين كفَّ، وإن قيل ليس عليه دين صلَّى، فأُتى بجنازة فلما قام ليكبر سأل: هل عليه دين؟ فقالوا: ديناران، فعدل عنه، فقال

---

[1] -الحديث رواه البيهقي ك/كتاب قسم الفيء والغنيمة ب/ باب إعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به البداية برقم (١٢٨٥٩).

[2] - الحديث رواه البخاري ك / الفرائض ب/ قول النبي صلى الله عليه وسلم من ترك مالا فلأهله.

عليٌّ: هما عليَّ يا رسول الله وهو بريء منهما، فصلى عليه ثم قال: "جزاك الله خيرا وفك الله رهانك"[1] ولا شك أن قضاء الديون وتحملها خاصة عن الميت عمل عظيم ينفع الميت ويسر الحي، وما أكثر من أثقلتهم الديون من أبناء المسلمين وهم في أمس الحاجة إلى من يساعدهم على قضائها بالتنظيم أو التحمل أو غير ذلك مما يمكن أن يفكر فيه أهل الصلاح والإصلاح.

٣- المؤسسة الوقفية

تطورت الأمور في الأمة حتى كانت قضية "الوقف" مورد الأعمال الاجتماعية في الأمة، وهي مسألة لم يقع في أي أمة مثلها قط، وأنقل هنا نصا طويلا – وأستميح القارئ عذرا لطول النقل – لكنه نص هام:

يقول د/ محمد عمارة:

" هذا الوقف قد بدأت مؤسسته مع بدايات الدولة الإسلامية الأولى على عهد رسول الله ﷺ، فعندما أوصى مخيرق بن النضر (٣هـ - ٦٢٥م) بأمواله إلى الرسول " يصنع فيها ما أراد الله" وكانت سبعة حوائط، أي بساتين. جعلها رسول الله ﷺ وقفا محبوسة أعيانها، وتنفق ثمراتها على الجماعة والأمة..

ثم جاء عمر بن الخطاب، فاصطفى أنفس أمواله – أرضه بخيبر - فحبسها وقفا على النفع العام. فذهب إلى رسول الله ﷺ فقال: "يا رسول الله إني استفدت مالا، هو عندي نفيس، فأردت أن أتصدق به. فأجابه الرسول ﷺ: "تصدق بأصله، لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق ثمره"[2]..." فكتب عمر وثيقة – حجة- وقفِهِ التي لعلها أقدم وثائق وحجج

---

[1] – الحديث رواه الدارقطني ك/ البيوع برقم (١٩٤).

[2] – الحديث رواه البخاري ك/ الوصايا ب/ قول الله تعالى: وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح...

هذا النظام في تاريخ الإسلام وفيها: "هذا ما كتب عبد الله عمر في "ثمغ" أرض بخيبر، أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث.. للفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف. ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم صديقا غير متمول فيه"[1]

لقد نما هذا المصدر من مصادر تمويل وجوه النفع العام، وتحقيق التوازن والعدل الاجتماعي، وتأمين المعاش لطالبيه، حتى أصبح الوقف في تاريخ الحضارة الإسلامية – المؤسسة التمويلية الأم في صناعة هذه الحضارة وفي تجديدها.

فمنذ الدولة الأموية، وفي عهد هشام بن عبد الملك (٧١ .- ١٢٥ هـ،٦٩٠- ٧٤٣م) أصبح للأوقاف بعد اتساع حجمها – ديوان خاص، يتولاه من يسمى "صدر الوقوف "وظل هذا الديوان أهليا، لأن الوقف مؤسسة " الأمة " لا " الدولة" منها مولت صناعة الحضارة، وبها أقامت العدالة النسبية بين الناس.

ولقد جاء حين من الدهر بلغت فيه – على عهد السلطان الظاهر برقوق (٧٣٨- ٨٠١هـ - ١٣٣٨ – ١٣٩٨م) مساحة الأراضي الموقوفة نصف أراضي الدولة !!.. الأمر الذي امتد بثمراتها إلى مختلف ميادين العمران الإسلامي... فشملت

١) المساجد: التي مثلت بيوت الله في الأرض، ودواوين الشئون الإسلامية العامة، وأوتاد الإسلام في ديار المسلمين..

٢) والمدارس: التي جعلت الحضارة الإسلامية منارة العلم الفريدة على هذه الأرض لعدة قرون..

٣) والمكتبات: التي يسرت العلم للراغبين، دونما نفقات...

---

[1] – رواه مسلم ك/ الوصية ب/ الوقف وأبو داود ك/ الوصايا ب/ باب ما جاء في الرجل يوقف الوقف وغيرهم.

٤) ونسخ المخطوطات: في عصور ما قبل الطباعة، إلى الحد الذي جعل إحدى مكتبات القاهرة – في العصر الفاطمي – تضم من " تاريخ الطبري " ذي المجلدات العديدة، ألفا ومائتي نسخة، إحداها بخط المؤلف!..

٥) والحفاظ على التحف والآثار والعاديات..

٦) وإقامة الخوانق لأقطاب الصوفية...

٧) وإنشاء المكاتب القائمة على تحفيظ القرآن الكريم، في المدن والقرى والنجوع..

٨) وإقامة البيمارستانات: مؤسسات متكاملة للعلاج والاستشفاء من الأمراض العضوية والعصبية.

٩) ورصف الطرق وتعديلها وصيانتها..

١٠) وتحرير الأسرى، بافتدائهم والإنفاق عليهم وعلى عائلاتهم..

١١) ورعاية أبناء السبيل: حتى إلى المنازل والديار..

١٢) والمعاونة على أداء فريضة الحج للذين لا يستطيعون إلى ذلك سبيلا...

١٣) وتجهيز الحلي الذهبية وأدوات الزينة للعرائس الفقيرات اللائي لا يستطعن شراءها عند الزواج !

١٤) ورعاية النساء الغاضبات، اللاتي لا أسر لهن، أومن تسكن أسرهن في بلاد بعيدة، فتؤسس لهن دور، تقوم على رعايتها نساء، على رأسهن مشرفة تهيئ الصلح للزوجات الغاضبات مع أزواجهن!!..

١٥) وعمارة الرباطات، في الثغور للمجاهدين في سبيل الله.. وشحنها بعُدَّة القتال ونفقات المقاتلين، والرعاية لأسر الشهداء !!

١٦) وإعانة العميان والمقعدين وذوي العاهات والأمراض المزمنة...

١٧) وتطبيب الحيوانات والطيور..

١٨) وإيواء ورعاية الحيوانات والطيور الأليفة...

١٩) ومؤسسات " نقطة الحليب" الخاصة بإمداد الأمهات المرضعات بالحليب والسكر، إعانة لهن على تغذية أطفالهن الرضع!

٢٠) وتهيئة موائد الإفطار والسحور للفقراء والغرباء في شهر رمضان..

٢١) والحدائق المخصصة ثمارها وظلالها لعابري السبيل، يأكلون منها الفاكهة على مدار العام !

٢٢) والأواني والقدور، المخصصة للمناسبات – أفراحا وأحزانا- لمن لا يستطيع امتلاكها... ومنها تعوض الأواني التي يكسرها الخدم حتى لا يؤذيهم سادتهم!..

٢٣) وتجهيز موتى الفقراء والغرباء..

٢٤) وبناء مقابر الصدقة ليدفن فيها الفقراء والغرباء وأبناء السبيل..

٢٥) والإنفاق عل الحرمين الشريفين، بمكة والمدينة، وعلى المسجد الأقصى، وعلى علمائهم وطلاب العلم فيهم، وعموم المحتاجين من أهلهم والوافدين إليهم...

٢٦) والإنفاق على الضيوف..

٢٧) وإقامة أسواق التجارة، ووكالاتها بالمدن، وعلى طريق التجارة..

٢٨) ومؤسسات الصناعة التي تحتاج إليها الأمة، والتي لا تفي بإقامتها جهود وإمكانات الأفراد، مدنية كانت أو حربية تلك الصناعات..

٢٩) والخانات التي ينزل فيها التجار والمسافرون..

٣٠) والأفران التي تخبز الخبز...

٣١) والحمامات العامة، التي تحفظ وتيسر نظافة الجمهور وطهارتهم...

٣٢) والأسبلة التي يرتوي منها المارة، وطلاب المياه..

٣٣) والعبارات التي تنقل الناس عبر الأنهار والترع والرياحات..

٣٤) والأموال التي تسدد بها ديون المعسرين..

٣٥) ومؤسسات الرعاية التي يعيش فيها المعوقون وأصحاب الأمراض المزمنة..

٣٦) ومؤسسات رعاية الأيتام..

٣٧) ورعاية المحبوسين وكفالة عائلاتهم...

٣٨) وتسليف المحتاجين المعسرين، بدون عوض...

٣٩) وتزويج المحتاجين والمحتاجات إحصانا لهم...

٤٠) وإقامة الأرحية العامة لطحن الحبوب بالمجان...

٤١) وإنشاء القناطر والجسور على الأنهار والترع والرياحات.. الخ..الخ[١]

هذا الذي ذكرناه وغيره الكثير مما لم نذكره يمثل تاريخا حضاريا في العمل الاجتماعي الذي نهض بالمجتمع، وحرك جانب الخير فيه، وكان يكفي الأمة احتياجاتها المعيشية، خاصة ذوي العوز والحاجة من أبنائها، فشعر المسلم بالأمن وتفرغت قلوب الناس لله تعالى وعقولهم للتنمية والنهوض، فلا عجب والحال كذلك أن يوجد الإبداع في

---

[١] – الإسلام والأمن الاجتماعي ص ٥٧ – ٦١ نقلا عن ندوة مؤسسات الأوقاف في العالمين العربي والإسلامي ط الكويت ١٩٨٣م.

الأمة فلا تحتاج إلى غيرها، ولا عجب أن يقوى انتماء الأفراد بقوة إلى مجتمعاتهم التي وفرت لهم أمنا معيشيا واجتماعيا كاملا، ولعل هذا كله يفسر لنا التآمر الشديد الداخلي والخارجي اليوم على العمل الخيري في بلاد الإسلام، وتعطيل بل وتحنيط نظام الأوقاف بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المبحث الثاني

مفاهيم ينبغي أن تصحح في المجال الاجتماعي

أتناول في هذا المبحث بعض المفاهيم المتعلقة بالجانب الاجتماعي مبينا سعة معانيها ودلالاتها في السياق الشرعي، حيث إن تصحيح المفاهيم في هذا الجانب الذي نحن بصدد البحث فيه يوسع دائرة العمل الاجتماعي في حس المسلم وفهمه، فلا يضيق أمامه الأفق، ويجد من مساحات العمل الخيري ما يستوعب طاقته ويقضي نهمته، والمقصد كذلك تنبيه الدعاة على ضرورة التعامل مع المصطلحات والمفاهيم الإسلامية بطريقة صحيحة تحقق معناها المراد دون اجتزاء أو اختزال، وقد اخترت ثلاثة مفاهيم فاعلة ومؤثرة في الجانب الاجتماعي هي:

أولا: مفهوم المسئولية.

ثانيا:مفهوم الصدقة.

ثالثا: مفهوم الجهاد.

وفيما يلي بيان بالمراد

أولا: مفهوم المسئولية

الإنسان في المفهوم مسئول عن نفسه أصالة، يُلزِمها الشرع فتصدِّق الخبر وتنفذ الأمر وتنتهي عن النهي، وهذا من باب قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم**

وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾[1]. فالله تعالى يؤكد هنا على المسئولية الأولى في حياة المرء وهي المسئولية عن "النفس" التي إذا لم ينجح المرء في القيام بها فهو عمن سواها من المسئوليات أعجز، وأكملت الآية الكريمة مسئولية عينية أخرى هي المسئولية عن "الأهل" فبان بذلك أن مسئولية المسلم لا تقف عند حد نفسه فقط بل "وأهليك".

وإذا ضممنا إلى تلك الآية الكريمة نصوصا أخرى من القرآن الكريم والسنة المطهرة لاتَّسع مفهوم المسئولية في الحياة الإسلامية، فالمسلم مسئول عن دينه يلتزم به ويحميه ويدعو إليه، وهو مسئول عن المسلمين يحمل همومهم، ويتألم لآلامهم ويفرح لأفراحهم فهو منهم وهم منه، يوالي من والاهم ويعادي من عاداهم، وينصحهم ويدعو لهم، يفرج كروبهم، ويستر عيوبهم، يعلم جاهلهم ويرشد حائرهم، إلى غير ذلك مما تقتضيه حقوق الأخوة بين المسلمين، كل ذلك حسب الطاقة والوسع والإمكان، وأولى الناس برعاية هذه الجوانب الدعاة إلى الله تعالى.

والمسلم عليه مسئولية الشهادة على الأمم يدعوها إلى طريق الحق، ببيان الدين الحق... الخ

وبالجملة فالمسئولية في الإسلام مفهوم واسع يشمل النفس والأهل وكل من يعول المرء، ويتسع ليشمل الأمة بل والبشرية جميعا كل في إطاره وبقدر استطاعته، فليس في نظر الشرع إنسان غير مسئول إلا مجنون أوصبي أو فاقد لإرادته وعقله. "فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[2]

---

[1] – سورة التحريم آية: ٦.

[2] – جزء من حديث رواه البخاري كتاب الجمعة –باب الجمعة في القرى والمدن حديث رقم ٨٤٤.

قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين أمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾[1]

لكن هذا المفهوم الواسع الرحب تعرض إلى تشويش ومغالطات كثيرة بعضها بحسن نية، وبعضها بسوء نية، فتقلص هذا المفهوم في حياة كثير من المسلمين حتى غدت هذه الكثرة لا تفكر إلا في نفسها وإن زادت ففي أهلها ويا ليت هؤلاء- في جانب أنفسهم وأهليهم- تحملوا المسئولية بجميع جوانبها وشمولها، إنما فكروا في المسئولية المادية التي قصارها إنقاذ الإنسان من جوع الدنيا وفقرها وخطرها، دون أن تنقذه من عذاب جهنم والملائكة الغلاظ الشداد، فقام ببعض جوانب مسئولية الأبدان، وأهمل وقصر جدا في مسئولية الأديان.

فإذا لفتَّ نظره إلى منكر يشيع في الأمة ويتسع، أو أزمة ألمت بإخوانه في قطر من أقطار الأرض القريبة أو البعيدة، أو غير ذلك من النوازل التي تزلزل أركان الحياة الإسلامية وجدت برودا في الدم، وموتا في روح الأخوة وواجهك قائلا " عليكم أنفسكم " يظنها رخصة تبيح له القعود عن الواجب،ويحتج بالقرآن على غير وجهه ليهرب من مسئوليته أمام ربه وأمام أمته، ومن هذا الباب فشت الأنانية التي لا يعرف بها الإنسان إلا نفسه، ولا يفكر إلا فيها ولسان حاله يقول: "نفسي نفسي ".

هذا مفهوم ينبغي أن يصححه الدعاة والعلماء في الأمة لينهض كل بواجبه الإسلامي المقرر في شرع الله تعالى.

وقد قام بذلك سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، فقد كان من شأنهم القيام بتحرير المفاهيم وتصحيحها في أمتهم حتى لا تنحرف الأفهام فتتأخر الأمة أو تضل.

---

[1] – سورة الأنفال آية: ٢٧.

جاء في سنن الترمذي عن قيس، قال: "خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: "إنكم تقرءون هذه الآية، وتتأولونها على غير تأويلها: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلَّ إذا اهتديتم**﴾[1]. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه، أو شك أن يعمّهم الله بعذاب من عنده " قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. [2]

قال ابن عطية في تفسيره لهذا الآية ومبينا فهم الصديق والسلف لها وكيف سلكوا مسلك التصحيح لما فسد من المفاهيم: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ اختلف الناس في تأويل هذه الآية فقال أبو أمية الشعباني سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية فقال لقد سألت عنها خبيرا، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإذا رأيت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم فإن وراءكم أياما أجر العامل فيها كأجر خمسين منكم.[3]

قال القاضي أبو محمد وهذا التأويل الذي لا نظر لأحد معه لأنه مستوف للصلاح صادر عن النبي ﷺ، ويظهر من كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه بلغه أن بعض الناس تأول الآية أنها لا يلزم معها أمر بمعروف ولا نهي عن منكر فصعد المنبر فقال: أيها

---

[1] – سورة المائدة آية:١,٥.

[2] – رواه الترمذي ك / الفتن ب/ ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر رقم (٢,٩٤). وأبو داوود ك/ الملاحم ب/ المر والنهي برقم (٣٧٧٥) وغيرهما.

[3] – الحديث رواه الترمذي ك/ تفسير القرآن ب/ ومن سورة المائدة (٢٩٨٤) ورواه أبو داود ك / الملاحم ب/ الأمر والنهي رقم (٣٧٧٨) وابن ماجة ك/ الفتن ب/ يأيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم رقم (٤٠٠٤).

الناس لا تغتروا بقول الله ﴿**عليكم أنفسكم** ﴾ فيقول أحدكم عليَّ نفسي والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب.

وروي عن ابن مسعود أنه قال: ليس هذا بزمان هذه الآية قولوا الحق ما قبل منكم فإذا رد عليكم فعليكم أنفسكم.

وقيل لابن عمر في بعض أوقات الفتن: لو تركت القول في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه، فقال: إن رسول الله ﷺ قال لنا ليبلغ الشاهد الغائب ونحن شهدنا فيلزمنا أن نبلغكم وسيأتي زمان إذا قيل فيه الحق لم يقبل.

قال القاضي أبو محمد: وجملة ما عليه أهل العلم في هذا أن الأمر بالمعروف متعين متى رجي القبول أو رجي رد المظالم ولو بعنف ما لم يخف المرء ضررا يلحقه في خاصيته أو فتنة يدخلها على المسلمين إما بشق عصا وإما بضرر يلحق طائفة من الناس فإذا خيف هذا فعليكم أنفسكم محكم واجب أن يوقف عنده.

وقال سعيد بن جبير معنى هذه الآية ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم** ﴾ فالتزموا شرعكم بما فيه من جهاد وأمر بمعروف وغيره ولا يضركم ضلال أهل الكتاب إذا اهتديتم.

وقال ابن زيد: معنى الآية يا أيها الذين آمنوا من أبناء أولئك الذين بحروا البحيرة[1] وسيبوا السوائب[1] عليكم أنفسكم في الاستقامة على الدين ولا يضركم ضلال الأسلاف إذا

[1] –فعيلة بمعنى مفعولة ، وبحر :شقَّ، كانوا إذا أنتجت الناقة عشرة بطون شقوا أذنها نصفين طولا، فهي مبحورة ، وتركت ترعى وترد الماء ولا ينتفع منها بشيء ويحرم لحمها إذا ماتت على النساء ويحل للرجال / المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ص٥٨٦ ط دار ابن حزم – أولى ٢٠٠٢م.

اهتديتم، قال: وكان الرجل إذا أسلم قال له الكفار: سفهت آباءك وضللتهم وفعلت فنزلت الآية بسبب ذلك.

قال القاضي أبو محمد ولم يقل أحد فيما علمت أنها آية موادعة للكفار وكذلك ينبغي أن لا يعارض لها شيء مما أمر الله به في غير ما آية من القيام بالقسط والأمر بالمعروف.

قال المهدوي: وقد قيل هي منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف ولا يعلم قائله"[٢]

وقال القرطبي- رحمه الله تعالى – "وظاهر هذه الآية يدل على أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ليس القيام به بواجب، إذا استقام الإنسان، وأنه لا يُؤاخذ أحدٌ، بذنب غيره، لولا ما ورد من تفسيرها في السنة، وأقاويل الصحابة والتابعين..."[٣]

والمطالع لتفاسير أهل العلم يجد نقول السلف مبينة للمفهوم الصحيح للآية الكريمة، فهي ليست رخصة للقاعدين، وليست دعوة للتهرب من المسئوليات الشرعية داخل المجتمع المسلم.

مما سبق يتبين:

---

[١] – السائبة هي الناقة التي تسيب للآلهة ، والناقة أيضا إذا تابعت ثنتي عشرة إناثا ليس فيهن ذكر سيبت. المصدر السابق ص ٥٨٧.

[٢] – تفسير ابن عطية المحرر الوجيز (٥٨٨) ط أولى ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢ م – طار ابن جزم –بيروت – لبنان.

[٣] – الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣١٧.

أولا: أن الأفهام قد تحيد عن التصور الصحيح للمفاهيم الشرعية فتضيق الواسع، أو تفهمه على غير وجهه، فينحرف السلوك أو يتقلص، وعلى الدعاة وأهل العلم والمصلحين في كل زمان ومكان العناية بتصحيح الفهم وضبط العقول في التعامل مع مفاهيم الإسلام وواجباته.

ثانيا: سعة مفهوم المسئولية في الإسلام وأنها لا تقف عند حدود النفس أو الأهل وإنما هي مسئولية عامة عن الدين والأمة، بل والبشرية جميعا بحكم شهادة الأمة على الناس جميعا، مع المسئولية عن النفس والأهل وكل من يعوله المرء ويرعاه حسب الطاقة والمكنة، يشترك في هذه المسئولية الحكام والدعاة وعامة الأمة بحكم إيمانهم والأخوة التي بينهم وبين المسلمين.

ثالثا: أهمية هذا المفهوم في قيام المسلم بالواجب الاجتماعي الواسع المناشط والجوانب، لا المحدود الضيق، وذلك باعتبار هذا الواجب أحد الواجبات الإسلامية التي تقع في إطار مفهوم المسئولية.

ثانيا: مفهوم الصدقة:

من المفاهيم الاجتماعية التي تقلص معناها في حياة المسلمين المعاصرة مفهوم " الصدقة "، فهي في نظر الكثيرين من المسلمين دريهمات يدفعها مليء لفقير محتاج، أو لقيمات يتصدق بها واجد على جائع، وليس فوق ذلك التصور معنى.

ومن هنا تعطلت طاقات كثير من المسلمين بانحسار هذا المفهوم في الأفهام، فبدلا من سعة مساحة عمل الخير التي بينتها نصوص الشرع ضاقت هذه المساحة بضيق المفهوم، فتعطلت تلك الطاقات الهائلة في المسلمين التي كان يمكن لو رشد فهمها واستقام لوجدت لها من أبواب العمل النافع الكثير والكثير الذي يستوعبها بل ويستنفدها بطريقة بناءة ومفيدة للفرد والمجتمع.

المفهوم الصحيح للصدقة في الإسلام:

في صحيح مسلم عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: "على كل مسلم صدقة" قيل: أرأيت إن لم يجد ؟ قال: "يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق" قال قيل: أرأيت إن لم يستطع ؟ قال: "يعين ذا الحاجة الملهوف" قال قيل له: أرأيت إن لم يستطع ؟ قال: "يأمر بالمعروف أو الخير" قال: أرأيت إن لم يفعل ؟ قال: "يمسك عن الشر. فإنها صدقة."[١]

والملهوف عند أهل اللغة يطلق على المتحسر وعلى المضطر وعلى المظلوم.

وفي مسلم أيضا: "كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس". قال: " تعدل بين الاثنين صدقة. وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه، صدقة". قال: "والكلمة الطيبة صدقة. وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة.[٢]

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس. قيل: يا رسول الله من أين لنا صدقة نتصدق بها؟ فقال: إن أبواب الخير لكثيرة: التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق وتسمع الأصم وتهدي الأعمى وتدل المستدل عن حاجته. وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف. فهذا كله صدقة منك على نفسك"[٣]. رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي مختصراً. وزاد

---

[١] - رواه مسلم كتاب /الزكاة – باب / بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

[٢] – رواه مسلم /كتاب الزكاة باب / بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف

[٣] رواه أحمد في المسند مسند الأنصار رضي الله عنهم – حديث أبي ذر رضي الله عنه.(٢٠٥١.)

في رواية: وتبسمك في وجه أخيك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم من طريق الناس صدقة، وهديك الرجل في أرض الضالة لك صدقة "

إن هذه الأحاديث العظيمة من كلام سيد المرسلين ﷺ توضح المفهوم الحقيقي للصدقة وتصححه، وترشد المسلم إلى عدة أشياء منها:

١- سعة أبواب الخير أمام المسلمين بحيث تسع كل راغب فيه مهما كانت إمكانياته، بحيث لا يبقى أمام مسلم عذر في ترك فعل الخير أيا كان لونه، ومن هنا ترجم النووي لأحد أبواب صحيح مسلم في أول حديث سقناه هنا بقوله:

باب / بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

ولو أحصينا شيئا مما هو في منظور الإسلام صدقة من خلال النصوص السابقة لعددناها كالتالي كما ورد بصيغة :

١) يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق.
٢) يعين ذا الحاجة الملهوف.
٣) يأمر بالمعروف أو الخير.
٤) يمسك عن الشر فإنها صدقة.
٥) تعدل بين الاثنين صدقة.
٦) تعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة.
٧) والكلمة الطيبة صدقة.
٨) وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة.
٩) وتميط الأذى عن الطريق صدقة.
١٠) التسبيح صدقة.
١١) والتحميد صدقة.

١٢) والتكبير صدقة.
١٣) والتهليل صدقة.
١٤) والأمر بالمعروف والنهي صدقة.
١٥) عن المنكر صدقة.
١٦) وتميط الأذى عن الطريق صدقة.
١٧) وتسمع الأصم صدقة.
١٨) وتهدي الأعمى صدقة.
١٩) وتدل المستدل عن حاجته صدقة.
٢٠) وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث صدقة.
٢١) وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف صدقة.
٢٢) وتبسمك في وجه أخيك صدقة.
٢٣) وإماطتك الحجر والشوكة والعظم من طريق الناس صدقة
٢٤) وهديك الرجل في أرض الضالة لك صدقة.

٢- تفجير الطاقات البشرية وتوجيهها إلى عمل الخير بفتح منافذ بنَّاءه تعود على الفرد والمجتمع بالخير والنفع والسعادة في الدنيا والآخرة، وذلك من شأنه أن يقضي على ما أسميه "البطالة الإيمانية في الأمة ".

٣- بيان ما يجب أن يسود المجتمع المسلم من روابط أخوية وتكافل مادي ومعنوي يسعد المجتمع وينهض به، ويقويه من الداخل.

يقول محمد قطب: "الصدقة في مفهومها التقليدي نقود وأشياء محسوسة يساعد بها الغني الفقير، ويمنحها القوي للضعيف. وهي بهذا المعنى ضيقة المفهوم جداً، وأثرها في حياة المجتمع محدود. ولو أنها ظلت قروناً طويلة مظهراً من مظاهر التكافل

الاجتماعي، ورباطاً من روابط المجتمع، وأداة لتطهير الأغنياء من الشح، وإعانة الفقراء على الحياة.....ولكن الحديث النبوي يخرج بالصدقة من معناها التقليدي الضيق. من معناها الحسي، إلى معناها النفسي. وهنا تنفتح على عالم رحيب ليست له حدود.

كل خير صدقة.. وعلى كل امرئ صدقة..

هكذا في شمول واسع لا يترك شيئاً ولا يضيق عن شيء!

كل خير صدقة. أو ليس ذلك حقاً؟!

ومن أين تنبع الصدقة التقليدية بمعناها الحسي الضيق الحدود؟

أو ليست تنبع من معين الخير في النفس البشرية؟ بلى! إن هذا هو معينها الوحيد. وإلا فهي رياء كاذب، وهي دنس لا يصدر عن نفس نظيفة. وليس ذلك بطبيعة الحال هو المقصود.... وتبدو حكمة الرسول في توسيع مدى الخير، وتعديد صوره وأشكاله، وتبسيطها كذلك حتى تصبح في متناول كل إنسان!

فلو كانت " الصدقة " أو الخير قاصراً على المحسوسات والأموال، فسيعجز عنها كثير من أفراد البشرية، وتبقى ينابيع ثرة في باطن النفوس، لا يستثمرها أحد، ولا يستنبط من معينها الغزير....والرسول المربي لا يريد أن يعرفنا بمنابع الخير فحسب، ولا أن يعودنا على الخير فحسب. ولكني ألمح من وراء تعديد الصدقات، وتبسيطها حتى تصبح في متناول الجميع، معنى آخر..

الإعطاء حركة إيجابية. ولذلك قيمة كبرى في تربية النفوس.

فالنفس التي تتعود الشعور بالإيجابية نفس حية متحركة فاعلة. بعكس النفس التي تتعود السلبية فهي نفس منكمشة منحسرة ضئيلة.

والرسول ﷺ يريد للمسلم أن يكون قوة إيجابية فاعلة، ويكره له أن يكون قوة سلبية حسيرة.

والشعور والسلوك صنوان في عالم النفس، كلاهما يكمل الآخر ويزيد في قوته.

ومن هنا حرص الرسول ﷺ على أن يصف حتى الأعمال الصغيرة والهينة بأنها صدقة... فالصدقات بمعناها الحسي الضيق، تقسم الناس آخذين في جانب ومعطين في جانب. وقد توحي إلى الآخذين الشعور بالضآلة والضعف، وتغري المعطين بالخيلاء والغرور.

وذلك تقسيم للمجتمع سيئ غاية السوء.

ولكن توسيع نطاق الصدقات حتى تشمل كل شيء وكل عمل متجه إلى الخير، يلغي التقسيم الأول، ويتيح لكل إنسان – بصرف النظر عن فقره وغناه – أن يكون معطياً واهباً للآخرين. ومن ثم يجعل الناس كلهم – بحركة واحدة – آخذين ومعطين على قدم المساواة، وشركاء في ميدان واسع فسيح!"[1]. بهذا يتضح لنا أن الأمة اليوم في حاجو ماسة إلى تصحيح المفاهيم التي بها يستقيم الوجدان ويستقيم باستقامتهما العمل.

وفي نفس الاتجاه تأتي مفاهيم أخرى تحتاج إلى تصحيح، يأتي مفهوم "العمل الصالح" ومفهوم "الخير"، فالكثير من المسلمين يتصور العمل الصالح ركعات يؤديها لله تعالى أو آيات من القرآن يتلوها، أو أيام يصومها في العام أو غير ذلك من الشعائر التعبدية التي تشبع الروح، ويظهر المسلم في نهاية هذا التصور البئيس بأحد مظهرين:

- إما مظهر الراهب المنعزل عن الحياة وحركتها المستغرق في روحانيته المكذوبة الناقصة.

---

[1] – انظر قبسات من الرسول محمد قطب ٧٩ ط التاسعة – طبعة دار الشروق — مصر.

- وإما مظهر المتناقض مع نفسه يوم أن عاش جانبا من الإسلام وأهمل جوانب أخر، فتراه في مسجده مسلما عابدا، وفي حياته العملية بكافة صورها ضعيف الصلة بالإسلام وبرب الإسلام.

لكنه لو عاش وفق مفهوم سليم للعمل الصالح، فعلم أن كل عمل يرضي الله تعالى موافق لشريعته تعالى فهو عمل صالح بصرف النظر عن نوعية هذا العمل وصورته دينية أو دنيوية، فردية أو جماعية، ومن هنا رأينا القرآن يجعل المهمة الرئيسية للإنسان ذات محورين:

الأول: العبادة لرب الأرباب فقال: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[1]

الثاني: عمارة الأرض فقال على لسان صالح عليه السلام ﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾[2]. ومن هنا يتسع مفهوم العبادة ومفهوم العمل الصالح وعمل الخير.

فليس للعبادة صورة واحدة، وليس للعمل الصالح وجه واحد، وليس للخير مفردات محدودة، إنما كل ذلك طريق رحب فسيح يسع الناس جميعا ما داموا يعملون من منطلق الإيمان ﴿ **وسعى لها سعيها وهو مؤمن** ﴾[3].

ثالثا: مفهوم الجهاد

ومن أبرز المفاهيم التي تتعرض للتآكل والتقلص في حياة الأمة مفهوم الجهاد، حيث تنصرف أذهان الكثيرين من المسلمين عند سماع هذه اللفظة إلى القتال والدماء، وما يتبع ذلك من إزهاق أرواح وإسالة دماء، وبذل تضحيات.

---

[1] – الذاريات آية: ٥٦.

[2] – هود آية:٦١.

[3] – الإسراء آية: ١٩.

وبهذا يضيق هذا المعنى الواسع العظيم، فينحصر المسلم داخل أسره العقلي يوم أن نَحَى بالمعاني الإسلامية (القرآنية والنبوية) إلى غير معناها الشامل الفسيح.

الجهاد في الإسلام أعم من القتال وأوسع مساحة، فصبر الرسول ﷺ على إيذاء المشركين في مكة يوم أن لم يكن قتال شُرع بعد سماه الله جهادا، بل جهادا كبيرا فقال تعالى وهو يحث نبيه ﷺ على الاستمرار في تبليغ القرآن وعرضه على الناس وإن تعرض في سبيل ذلك للأذى والاضطهاد قال له ﴿ **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبير** ﴾[1] وسمى الله تعالى بذل المال جهادا، بل قدمه على الجهاد بالنفس في كل المواضع في القرآن ما عدا موضعا واحدا في سورة "براءة".

فمفهوم الجهاد في الإسلام يبدأ من مجاهدة النفس ليصل إلى قتال الكفار وبين هذا وذاك الجهاد بالمال، وجهاد الدعوة، والجهاد باللسان والقلم، والجهاد الإعلامي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي... الخ

وقد بين المصطفى ﷺ أنواع الجهاد بمفهومه الشامل فقال: "ما من نبي بعثه الله في أمةٍ قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنه تَخْلُفُ من بعدهم خُلُوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤْمَرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن؛ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[2]

فالجهاد بمعناه الشامل لا يسقط عن المسلم بحال، قد يعذر فيترك القتال بالأعذار الشرعية التي ذكرها القرآن بقوله تعالى: ﴿ **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج**

---

[1] – سورة الفرقان آية (٥٢)

[2] – رواه مسلم ك/ الإيمان ب /كون النهي عن المنكر من الإيمان.(٧١)

ولا على المريض حرج ﴾[1] هنا لم يقل ليس على هؤلاء جهاد، وإنما نفى عنهم الحرج، وعليهم جهاد مقدور لهم وفي وسعهم.

وفي بيان معنى الجهاد الشامل في الإسلام يقول ابن تيمية "الجهاد إما أن يكون بالقلب كالعزم عليه، أو بالدعوة إلى الإسلام وشرائعه، أو بإقامة الحجة على المبطل أو ببيان الحق وإزالة الشبهة أو بالرأي والتدبير فيما فيه نفع للمسلمين، أو بالقتال بنفسه، فيجب الجهاد بغاية ما يمكنه"

ويقول ابن القيم في بيان معنى الجهاد ومراتبه: "مراتب الجهاد إذَا عُرِفَ هذا، فالجهادُ أربع مراتب: جهادُ النفس، وجهادُ الشيطان، وجهادُ الكفار، وجهادُ المنافقين.

فجهاد النفس أربعُ مراتب أيضاً:

إحداها: أَنْ يُجاهِدَها على تعلُّم الهُدى، ودين الحق الذى لا فلاح لها، ولا سعادة فى معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها عِلمُه، شقيت فى الدَّارين.

الثانية: أن يُجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرَّدُ العلم بلا عمل إن لم يَضُرَّها لم ينفعْها.

الثالثة: أن يُجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمِهِ مَنْ لا يعلمهُ، وإلا كان مِن الذين يكتُمون ما أنزل الله مِن الهُدى والبينات، ولا ينفعُهُ علمُهُ، ولا يُنجِيه مِن عذاب الله.

الرابعة: أن يُجاهِدَها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الربَّانِيينَ، فإن السلفَ

---

[1] – سورة الفتح آية: ١٧

مُجمِعُونَ على أن العَالِمَ لا يَستحِقُّ أن يُسمى ربَّانياً حتى يعرِفَ الحقَّ، ويعملَ به، ويُعَلِّمَه، فمَن علم وَعَمِلَ وعَلَّمَ فذاكَ يُدعى عظيماً فى ملكوتِ السموات.

وأما جهادُ الشيطان، فمرتبتان، إحداهما: جهادُه على دفع ما يُلقى إلى العبد مِن الشبهات والشُّكوكِ القادحة فى الإيمان.

الثانية: جهادهُ على دفع ما يُلقى إليه من الإرادات الفاسدة والشهواتِ، فالجهادُ الأول يكون بعده اليقين، والثانى يكون بعدَه الصبر. قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[1] فأخبر أن إمامة الدين، إنما تُنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهواتِ والإرادات الفاسدة، واليقينُ يدفع الشكوك والشبهات.

وأما جهادُ الكفار والمنافقين، فأربع مراتب: بالقلب، واللِّسان، والمالِ، والنفسِ، وجهادُ الكفار أخصُّ باليد، وجهادُ المنافقين أخصُّ باللسان.

وأما جهادُ أرباب الظلم، والبِدعِ، والمنكرات، فثلاث مراتبَ: الأولى: باليدِ إذا قَدَرَ، فإن عَجَزَ، انتقل إلى اللِّسان، فإن عَجَزَ، جاهد بقلبه، فهذِهِ ثلاثةَ عشرَ مرتبةً من الجهاد، و "**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النَّفَاقِ**"[2]

فالجهاد في الإسلام عمل واسع فيكون جهاد سياسيا واجتماعيا وثقافيا وحربيا، كما هو جهاد نفس وشيطان، وبالجملة فكل عمل يحقق نشرا للإسلام وتنمية للأمة ابتغاء

---

[1] – السجدة: ٢٤.

[2] – زاد المعاد من هدي خير العباد ٧/٦ تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا.ط أولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م دار الكتب العلمية والحديث رواه مسلم ك/ الإمارة ب/ من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو.

وجه الله تعالى فهو جهاد مشكور، ولا يسع المجال هنا استعراض كافة النصوص التي تدل على هذا ويكفينا كلام العلماء السابق الذي هو نتاج استقراء لنصوص الشرع الحنيف في بيان معنى الجهاد.

لم هذه الوقفة مع المفاهيم ؟ :

إن هذه الوقفة التصحيحية لبعض المفاهيم ذات العلاقة بالعمل والمجال الاجتماعي كانت لأمور منها:

أولا: أن المصطلحات اليوم في حياة الأمة شابها كثير من التحريف حتى غدت حرب المصطلحات اليوم من أخطر صور الحرب المعاصرة، فكثير من المفاهيم والمصطلحات ينبغي أن يصححها العلماء ويحرروا معناها حتى لا يقع الناس في فخ التلبيس واللعب بالمعاني والألفاظ.

ثانيا: ومن ناحية أخرى حتى لا تضيق مساحات الخير والعمل في حياة الأمة بتقلص المفاهيم وتجزئة المعاني.

ثالثا: وهذه المفاهيم التي عرضت لها الآن بشيء من البيان هي ألصق بموضوع البحث والدراسة، وتحريرها يعتبر من لوازم البحث.

فالدعوة ليست كلمات نظرية يطلقها الدعاة دون تفعيلها في الواقع، فالصدقة ليست دريهمات يدفعها مليء لمحتاج، والمسئولية ليست هي تلك الدائرة الضيقة التي لا تتعدى النفس والأقربين، والجهاد ليس سيفا يشهر في وجوه المعتدين فقط بل هو مساحة رحبة من العمل والبذل لترقية الأمة ونهضتها بصور وأشكال عديدة.

ومن هنا لا ينبغي على الدعاة قصر دورهم على تلك المواعظ والأفكار النظرية،ولا يجوز للأفراد أن يعيشوا في تلك المعاني الضيقة للمفاهيم والتصورات الإسلامية الرحبة

الواسعة، بل لا بد للجميع أن يقوموا بمعاني المسئولية كاملة كما أرادها الله تعالى ورسوله، وأن يجاهدوا الجهاد العام الشامل كما سبق بيانه وهم لا يقلون بدورهم هذا عن حامل سيفه في وجه العدو بل قد يزيدون في الأجر،أما الصدقة كما في القرآن والسنة فهي منهج إصلاح يبدأ من داخل النفس ويتسع ليشمل الإصلاح العام كل ذلك من منهج الصدقة.

فالدعاة مجاهدون مسئولون متصدقون قائمون بعمل الصالحات والخير لو قاموا بدورهم الصحيح في ضوء هذه المفاهيم الشاملة، لحركوا خلفهم الأمة وسخروا طاقاتها البشرية والمادية والمعنوية في الدعوة والإصلاح والنهوض بالمجتمع بصورة عملية شاملة.

المبحث الثالث

الواقع الاجتماعي والاقتصادي للأمة الإسلامية

يعاني العالم اليوم من أزمات على كافة الأصعدة، ولعل أكثر الناس معاناة هم المسلمون، لأسباب كثيرة داخلية وخارجية ولا يظلم ربك أحدا، وكل جانب مما تعاني فيه الأمة الإسلامية يحتاج إلى جهاد الدعاة والعلماء والمسئولين بل وعامة المسلمين.

وهنا نطل إطلالة سريعة موجزة على واقع الأمة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية لنرى حجم الدور المنوط بالأمة عامة وبالدعاة والعلماء خاصة وسنضرب الأمثلة من واقع العالم العربي كنموذج وليست سائر البلدان الإسلامية أحسن حالا من بلاد العرب.

أولا: البطالة وأثرها في الجانب الاجتماعي

– تحت عنوان "البطالة في العالم العربي"جاء هذا التقرير بموقع "بوابة الوظائف السعودية" على شبكة الانترنت نقلا عن مصادر رسمية يقول التقرير:

- تعتبر البطالة إحدى أخطر المشكلات التي تواجه الدول العربية، حيث توجد بها أعلى معدلات البطالة في العالم. وحسب تقرير لمجلس الوحدة الاقتصادية التابع لجامعة الدول العربية، صدر عام ٢٠٠٤م، قدّرت نسبة البطالة في الدول العربية ما بين ١٥ و ٢٠%. وكان تقرير منظمة العمل الدولية قد ذكر في عام ٢٠٠٣م، أن متوسط نسبة البطالة في العالم وصل إلى ٦,٢%، بينما بلغت النسبة في العالم العربي في العام نفسه ١٢,٢%. وتتزايد سنويا بمعدل ٣%. وتنبأ التقرير بأن يصل عدد العاطلين في البلاد العربية عام ٢٠١٠م إلى ٢٥ مليون عاطل. وما يجعل هذه القضية من أكبر التحديات التي تواجه المجتمعات العربية، هو أن ٦٠% تقريبا من سكانها هم دون سن الخامسة والعشرين.

الأسوأ عالميا: ووصفت منظمة العمل العربية، في تقرير نشر في شهر مارس ٢٠٠٥م، الوضع الحالي للبطالة في الدول العربية بـ "الأسوأ بين جميع مناطق العالم دون منازع"، وأنه "في طريقه لتجاوز الخطوط الحمراء". ويجب على الاقتصادات العربية ضخ نحو ٧٠ مليار دولار، ورفع معدل نموها الاقتصادي من ٣% إلى ٧%، واستحداث ما لا يقل عن خمسة ملايين فرصة عمل سنويا، حتى تتمكن من التغلب على هذه المشكلة الخطيرة، ويتم استيعاب الداخلين الجدد في سوق العمل، بالإضافة إلى جزء من العاطلين. وأكد مشاركون في "المنتدى الاستراتيجي العربي" الذي عقد في دبي في ديسمبر ٢٠٠٤م أن على صناع القرار في العالم العربي، التخطيط لتوفير ما بين ٨٠ و ١٠٠ مليون فرصة عمل حتى العام٢٠٢٠م، حيث يبلغ حجم القوى العاملة في الوطن العربي حاليا ١٢٠ مليون نسمة، يُضاف إليها كل عام ثلاثة ملايين و٤٠٠ ألف عامل. ويؤكد تقرير منظمة العمل العربية أنه لم تعد هناك دول عربية محصنة ضد البطالة كما كان يعتقد قبل سنوات، وبخاصة في دول الخليج العربي، حيث يبلغ معدل البطالة في السعودية ـ أكبر هذه البلدان حجماً وتشغيلاً واستقبالاً للوافدين– نحو ١٥%، وفي سلطنة عُمان ١٧,٢%، وفي قطر ١١,٦%. أما في باقي الدول العربية، فلا يختلف الوضع كثيرا[١]

من آثار البطالة:

- ويبين التقرير بعض آثار البطالة في الجانب الاجتماعي والأخلاقي فيقول تحت عنوان "آثار سلبية": ويذهب بعض الباحثين إلى أن هناك آثارا خطيرة للبطالة على مستوى الفرد والمجتمع، فالفرد قد يصاب بأمراض نفسية عديدة، ويمكن أن يلجأ إلى تعاطي المخدرات هروبا من الواقع المؤلم، وانتشار الجرائم، وضعف الانتماء للوطن، وكراهية

[١] – موقع بوابة الوظائف السعودية بشبكة المعلومات العالمية الإنترنت -http://www.jobs gate.com

المجتمع، وصولا إلى ممارسة العنف والإرهاب ضده، فضلا عما تمثله البطالة من إهدار للموارد الكبيرة التي استثمرها المجتمع في تعليم هؤلاء الشباب ورعايتهم صحياً واجتماعياً"[1]

-وهذه حقيقة اجتماعية يراها المنصف دون عناء في واقع أولئك العاطلين مما ينذر بخطر عارم على المجتمعات العربية والإسلامية ولا تخفى تلك الآثار الآن في واقعنا.

فإن الفقر قرين البطالة وناتج عنها ويتسبب في وقوع جرائم بشعة في المجتمعات التي يسودها الفقر وتعشعش فيها البطالة والحاجة.

وهاهو مركز ملتقى الحوار للتنمية وحقوق الإنسان يقدم تقريراً حول جرائم الفقر في صفحات الحوادث بالصحف المصرية " الأخبار – الأهرام – – الوفد – الأسبوع – صوت الأمة " في الفترة من أول مارس حتى نهاية شهري يونيو ٢٠٠٥م جاء فيه أن عدد الجرائم التي كان الفقر دافعها الرئيسي خلال تلك الفترة بلغ ١٩٧ جريمة بينما بلغ عدد المواطنين الذين ارتكبوا تلك الجرائم ٣٧٠ مواطنا...

كانت محافظة القاهرة هي الأعلى في جرائم الفقر، حيث شهدت ثمانين جريمة بسبب الفقر بينما جاءت محافظة الجيزة في المرتبة الثانية بعدد ثلاثين جريمة تليها محافظتا الإسكندرية والغربية ثم باقي المحافظات. وكان الفقر دافعاً للقتل في ٩٨ جريمة، ودافعاً إلى ٤٣ جريمة سرقة، في حين كان سبباً في ١٣ جريمة تسول و١٥ حالة انتحار، والمثير للدهشة والشفقة في آنٍ واحد أن التقرير توصل إلى أن المبالغ المالية والعينية موضوع الجرائم التي تمت بسبب الفقر تراوحت بين خمس جنيهات إلى ألفين جنيه. وبلغ عدد الجرائم التي حدثت داخل الأسرة الواحدة أو بين الأقارب ٧٥ جريمة بنسبة ٣٨,١%...

[1] – السابق.

فكشفت عن أن هناك ١٧ مليون مصري لا يستطيعون الحصول على احتياجاتهم من الغذاء وان ٢٤,٨% من المصريين يعيشون بدخل يومي لا يتجاوز دولارين. وأشارت تقارير حديثة من الأمم المتحدة إلى أن نسبة الفقر في مصر قد ارتفعت بنسبة ٧% بعد موجة ارتفاع الأسعار الأخيرة. وأوضح التقرير أن ١% من المصريين يحصل على أقل من دولار واحد في اليوم وان أعلى نسبة فقر توجد في مناطق ريف الوجه القبلي يتبعها مناطق حضر الوجه القبلي. وأشار إلى أن العمل على استقرار الأسعار والحد من ارتفاعها أهم أدوات تخفيف الأعباء على المواطنين حيث زادت الأسعار بأرقام قياسية في السلع الغذائية بنسبة ٩,٣% وفي اللحوم بنسبة ١٦,٩% والألبان والجبن ١٦,٥% والخضروات٤١,٩% والسكر ١٨,٤% بل وزادت أسعار المياه والكهرباء والوقود بنسبة ٥,٣% وغيرها.[١]

وفي تلخيص لكتاب بعنوان " الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي" لمؤلفه /عبد الرزاق الفارس جاءت هذه الأرقام المذهلة:

– أن ما يقارب ١,٢ إلى ١,٣ مليار من البشر– أي ما يعادل خمس البشرية– مازالوا يعتبرون فقراء جداً، أي أنهم يعيشون على دولار واحد أو أقل في اليوم. وأنه لو تم رفع خط الفقر قليلاً فقط لوصلت نسبة الفقراء في العالم إلى ما يزيد عن الثلث.

– أما على المستوى العربي فإن أكثر من ثلثي السكان يقيمون في الأقطار المنخفضة الدخل، وهناك أكثر من ٧٠ مليون عربي يقعون تحت خط الفقر.

والشيء السوداوي حقاً أنه رغم عقود طويلة من التنمية وخطط الاقتصاد والنهوض بالمستوى العام للمجتمعات العربية فإن الدراسات تخلص إلى "أن الفقر في الوطن العربي

---

[١] – جريدة مصر العربية – شبكة المعلومات العالمية الإنترنت http://www.misralarabia.com

الذي كان في انخفاض مستمر خلال الفترة ١٩٥٠-١٩٨٠م (بدأ) بالارتفاع كنسبة من جملة السكان وكعدد مطلق خلال الفترة منذ منتصف الثمانينات وحتى الآن"

– ولا تبتعد الحالة الأردنية عن نظيرتها المصرية، إذ إن التحسن في مستوى الدخل الذي شهده الأردن بين عامي ١٩٨٠م و١٩٨٦ الذي كان في صالح الشرائح الفقيرة والعائد للنمو الاقتصادي في تلك الفترة، قد تآكل في النصف الثاني من الثمانينات وحتى سنة ١٩٩٢. فمؤشر الفقر في المرحلة الثانية ازداد ١١,٩%، وفجوة الفقر (التي تمثل الفرق بين الدخل الحقيقي وخط الفقر) ارتفعت بمقدار ٣,٤%، وكل هذا يعود إلى التراجع في النمو الاقتصادي وتقهقر الناتج المحلي بنسبة ٨,٨% (ص ٥٢)

– أما فيما يخص الحالة العراقية فإن الوضع بالغ السوء والأرقام تشير إلى وضع مأساوي ناتج بالأساس عن نتائج حرب الخليج سنة ١٩٩١ والحصار الذي لحقه وتعرض له العراق. وتقول الأرقام إن نسبة الفقر هناك ارتفعت حوالي ٧٢,١% في المناطق الحضرية و٨١,٨% في المناطق الريفية عام ١٩٩٣، بعد أن كانت ٢٤,٩ % و٣٣,٩% على التوالي عام ١٩٨٨[١].

ثم يستعرض المؤلف –ولكن بإيجاز مخل– بعض معدلات الفقر ومؤشراته في الدول المنخفضة الدخل. وهنا تزداد الصورة قتامة خاصة في بلدان مثل اليمن والسودان وموريتانيا وفلسطين. ففي موريتانيا على سبيل المثال يتعرض كل طفل من خمسة أطفال إلى الوفاة قبل سن الخامسة. وكما هو معروف فإن معدل وفيات الأطفال تحت الخامسة يعتبر من أهم مؤشرات الفقر. وفي نفس البلد يعاني واحد من كل ثلاثة أشخاص سوء التغذية، ولا يتجاوز متوسط العمر المتوقع للأفراد ٤٧ عاماً، في حين يعد ثلثا السكان من

[١] – كل هذا قبل الحرب الآثمة على العراق أما بعدها فحدث ولا حرج حيث عادوا بالعراق إلى مربع الصفر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الأميين. لكن لا يتوسع المؤلف في حالات السودان وفلسطين واليمن الأمر الذي يشكل نقصاً واضحاً في الكتاب

– وتتحدث الأرقام بلغة قاسية أيضاً في الفصل الخاص بالتفاوت في الدخل في الوطن العربي. فهنا نرى الفرق الكبير في الدخول من حيث تقف الكويت على الحد الأقصى من ناحية معدل دخل الفرد السنوي البالغ أكثر من عشرين ألف دولار بحسب تقديرات صندوق النقد العربي لعام ١٩٩٨، إلى حيث تقف اليمن على الحد الأدنى الذي يشير إلى أن معدل دخل الفرد هناك في ذلك العام لم يتجاوز ٣٥٠ دولارا[١].

لا شك أن هذه الأرقام مؤكد أن دولا عربية وإسلامية أخرى تشترك في مثلها أو أكثر منها، وهذا مثال فقط يغني عن استعراض بقية الأوضاع في عالمنا الإسلامي.

ثانيا: واقع الأسرة في العالم الإسلامي:

الأسرة التي هي محضن تربية الأجيال والتي تصنع المستقبل تعاني اليوم في العالم الإسلامي من أزمات ومشكلات داخلية وخارجية، فما بين مؤتمرات دولية تحاول الإجهاز على بقية القيم والأخلاق الاجتماعية والأسرية وتدميرها والقضاء عليها، وما بين واقع داخلي يعكر الأجواء على استقرار الأسر ولا يهيئ لها جوا مناسبا تمارس فيه دورها التربوي الفعال، وتراكمت مشكلات أخلاقية واقتصادية صحبها الجهل وعوامل أخرى أدت إلى انهيار كثير من تلك الأسر، وكل أسرة تنهار هي بمثابة انهيار لمعقل إسلامي عظيم، كان يمكن أن يحصن جزءا من الأمة لو حوفظ عليه، وفيما يلي أستعرض بعض ملامح الواقع الاجتماعي البئيس في مجال الأسرة نستقيها من بعض التقارير الرسمية:

---

[١] – موقع الجزيرة /www..aljazeera.netعلى موقع شبكة المعلومات العالمية الإنترنت. والكتاب صادر في ١٥١ صفحة – طبعة الأولى –١..٢ الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت

– كشف إحصاء للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء في مصر عام ٢٠٠٥م، أن عدد سكان مصر ارتفع بمعدل ثلاثة أرباع المليون، ليصل الآن إلى ٧١,٣ مليون نسمة، في حين تشير التوقعات إلى زيادة العدد إلى ١,٣,٢ مليون نسمة، عام ٢٠٢٥م، وأن مصر شهدت خلال هذا العام ٥٥٠ ألف حالة زواج، و٦٤ ألف حالة طلاق...

– عام ٢٠٠١م بلغت فيه نسبة حالات الطلاق بين المتزوجين الجدد، إلى ٤٠% في المائة.

- وكان تقرير سابق صادر من الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، أكد أن عدد المطلقات بلغ مليونين و٤٥٩ ألف مطلقة، بما نسبته ٣٤,٥ في المائة، حالة طلاق في السنة الأولى من الزواج، و١٢,٥ في المائة في السنة الثانية، و٤٠ في المائة، منهن يطلقن في سن الثلاثين، وكشف التقرير وقوع ٤٢ في المائة من حالات الطلاق، بسبب الحالة الاقتصادية للزوجين، وعدم قدرة الزوج على الوفاء بالتزامات واحتياجات الأسرة.

- يذكر أن الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، كشف في أوائل عام ٢٠٠٥، عن أرقام مذهلة، فيما يتعلق بالطلاق في مصر، إذ قال إن هناك حالة طلاق تقع كل ست دقائق، ومن بين كل ١٠٠ حالة زواج، تتم في القاهرة، ينتهي ٣٣ حالة منها بأبغض الحلال، كما أن ٩٠ ألف أسرة تتفكك سنويا نتيجة الطلاق، وتسجل مصر أعلى معدلات طلاق في الدول العربية، تليها الأردن، ثم السعودية، فالإمارات، والكويت، ثم البحرين، وقطر، والمغرب.[١]

– وفي السعودية ومن خلال آخر دراسة أعدتها وزارة التخطيط السعودية أن نسبة الطلاق في المملكة ارتفعت عن الأعوام السابقة بنسبة ٢٠% كما أن ٦٥ % من

[١] – انظر موقع "http://middle-east-online.com" على شبكة الإنترنت.

الزيجات عن طريق الخاطبة تنتهي بالطلاق حيث سجلت المحاكم والمأذونين أكثر من ٧٠ ألف عقد زواج و ١٣ ألف صك طلاق خلال العام الماضي. وأوضحت الدراسة أنه يتم طلاق ٣٣ امرأة سعودية يومياً في السعودية..... ففي مدينة الرياض وحدها طلقت ٣٠٠٠ امرأة من أصل ٨٥٠٠ حالة زواج.

- وأشارت الدراسة إلى العنوسة من خلال عدد الفتيات اللواتي لم يتزوجن حيث بلغن سن الزواج ١٥٢٩٤١٨ فتاة.

– بينما أوضحت الدراسة التي أعدها مركز سلمان الاجتماعي بالرياض نتائج سيئة تنذر بخطر كبير عن حالات الطلاق والعنوسة في دول الخليج. حيث أشارت الدراسة أن نسبة الطلاق في قطر وصلت إلى ٣٨% من حالات الزواج في حين بلغت نسبة العنوسة إلى ١٥%. في حين وصلت نسبة الطلاق في الكويت إلى ٣٥% من إجمالي حالات الزواج ووصلت نسبة العنوسة إلى ١٨%. لكن في البحرين التي اشتهرت بالترفيه الخاص فقد وصلت نسبة الطلاق إلى ٣٤% من إجمالي حالات الزواج في حين بلغت العنوسة نسبة ٢.%.

كما أن الإمارات بلد السياحة والرقي فقد وصلت نسبة الطلاق إلى٤٦% في حين بلغت نسبة العنوسة إلى ٢.%.[١]

هذه نماذج وأمثلة تعتبر مؤشرات وإضاءات وليست استقصاء للواقع الذي تعيشه الأمة، يتبين منها جانب من واقع المسلمين الاجتماعي والاقتصادي مظاهره كالتالي :

- فقر مدقع وتفاوت شديد بين بلاد الإسلام في نسبة الدخول.
- أمراض مزمنة تنتشر بكثافة.

---

[١] – انظر موقع "http://www.balagh.com" على شبكة الإنترنت.

- بطالة تعكس آثارا في غاية الخطورة على الجانب النفسي والخلقي والأمني للأمة.
- تفكك أسري من طلاق سببه الفقر والجهل وسوء العشرة.

ويزيد في حدة الطلاق في بلادنا تلك القنوات الفضائية التي تعرض صورا من العلاقات الخاطئة بين الجنسين، من خلال مسلسلات وأفلام تحث على ضرورة إنشاء علاقات جنسية وعاطفية خارج نطاق الأسرة الشرعية، إلى غير ذلك من المخاطر، هذه الأوضاع التي تنخر في جسم الأمة وتزيد من همومها وبالتالي من ضعفها وتؤخر نهضتها تحتاج إلى معالجة وإصلاح ولا يكون ذلك إلا بالإسلام، ولا يكون الإسلام عاملا وفاعلا في الأمة إلا إذا نزل الدعاة والعاملون للإسلام الساحة وعاشوا هموم مجتمعاتهم، ووضعوا لها برامج عملية تفصيلية تخفف من حدة ما هم فيه مشكلات ليرى الناس الإسلام عمليا لا كلاما،ومن قبلهم المسئولون وأولو الأمر في الأمة الذين عليهم العبء الأكبر في الإصلاح.

مدخلان في عرض الإسلام:

أتصور أن هناك مدخلين رئيسين لعرض الإسلام،

المدخل الأول: المدخل النظري التعليمي ومن خلاله يعرِّف الدعاة الجماهير الدين ويعلمونهم حدوده وفضائله وخصائصه وما يلزمهم مما لا يسعهم جهله من عقائده وأحكامه، هذا جانب غالب على عمل الدعاة اليوم، بل الكثير منهم لا يحسن إلا هذا مع ضعف فيه، فبضاعة الكلام غدت معظم الأوقات هي بضاعة الدعاة،بل البضاعة الوحيدة، والتعليم لا شك مطلوب وضروري لكل داعية وكل متلق للدعوة، فالعلم من أعظم الفضائل الإسلامية والإنسانية، لكن هذا المدخل وحده ليس كافيا في إقناع الناس بصلاحية الإسلام ومصداقية الدعاة حتى يدخل الدعاة إلى الناس في دعوتهم من:

المدخل الثاني: وهو المدخل العملي الواقعي وهو المدخل الأوقع الذي يصدق الأول ويؤكد مصداقية الدعاة فيه، بل هو الدليل الكبير الذي يحقق للجماهير القناعة التامة بما سمعوه وتلقوه من نظريات وتعاليم إسلامية، ويوم يعيش الدعاة مع جماهيرهم ويلتحمون بهم ويدركون واقعهم، ويحملون همومهم، ويسعون عمليا في النهوض بهم قدر الطاقة يوم تلتف تلك الجماهير العريضة حول دينها ودعاته الصادقين.

ومن أعظم جوانب العمل والإصلاح العمل الاجتماعي: ذلكم العمل الذي تنفرج به كروب المكروبين، وتزول به الهموم عن المهمومين، ويدخل السرور بسببه على المحزونين، ويغاث به المنكوبون،ويقال العاثرون،إنه العمل الذي تتماسك به الأسر، وترعى في ظله الأرامل، ويكفل في رعايته الأيتام، وتنتشر به الأخلاق، وتقل به الرذائل.

إنه العمل الاجتماعي الذي حث عليه الإسلام كثيرا، وعاشه النبي ﷺ طوال حياته، ومارسه المصلحون ذوو التأثير على مدار تاريخ الإصلاح فأثمر جهادهم الاجتماعي وبلغ الأمر غايته في واقعهم.

وخلاصة هذا المبحث أن الأمة تعاني كثيرا من مشكلات اجتماعية واقتصادية خطيرة تؤثر في مسيرتها الحضارية الإنسانية، والمخرج منها هو الإسلام،بكافة جوانبه وخاصة الجانب الاجتماعي وهذه وظيفة الدعاة والمسئولين وأصحاب الأموال بل مسئولية الجميع.

المبحث الرابع

نماذج من العمل الاجتماعي المعاصر عند المسلمين وعند غيرهم

نعرض في هذا المبحث نموذجا من العمل الاجتماعي المعاصر عند المسلمين وكيف كان أثره، وعند غيرهم وكيف يستغلونه في تحقيق أغراضهم الخبيثة في الصد عن سبيل الله ونشر الكفر في الأرض.

أولا: نماذج من العمل الاجتماعي المعاصر عند المسلمين

- العمل الاجتماعي لدي الجمعية الشرعية بمصر.
- العمل الاجتماعي لدي جمعية الإخوان المسلمين بمصر.

ثالثا : نموذج العمل الاجتماعي المعاصر عند غير المسلمين

- العمل الاجتماعي لدى جماعات التنصير.

أولا: العمل الاجتماعي المعاصر عند المسلمين

– العمل الاجتماعي لدي الجمعية الشرعية بمصر

الجمعية الشرعية من أقدم الجمعيات الإسلامية العاملة على الساحة المصرية، أسسها الإمام الكبير، والمجدد العظيم الشيخ: محمود محمد خطاب السبكي في مطلع

القرن الرابع عشر الهجري وبالتحديد سنة ١٣١٣ هجرية، ١٩١٢ م[١]، وقد قامت هذه الجمعية المباركة بعمل دعوي ضخم ومؤثر شمل الجانب النظري كالخطب والدروس والمحاضرات، وطباعة الكتب والمجلات الإسلامية، ثم قامت بالدعوة إلى الله تعالى عمليا من خلال أعمال اجتماعية أخذت صورا وأشكال وممارسات شتى.

يحدثنا عن شيء من أهداف الجمعية ووسائلها أحد أئمتها وهو د / فؤاد مخيمر- رحمه الله-، فيحدد أغراض الجمعية في أربعة أمور هي:

"أولاً: نشر التعليم الصحيح لتنقطع حجة من ترك العمل بدعوى أنه جاهل.

ثانياً: التناصح والتواصل والحث على العمل وموالاة الوعظ من رجال يعرفون كيف يعظون، حتى يموت التساهل والكسل عن العمل بهذا الدين الحنيف.

ثالثاً: إعانة من لا يتمكن من العمل بحرفته التي يقتات منها، إذا كان بسبب عمله بالدين على ما جاء به السيد الأمين ﷺ، لينقطع عذره في عدم التمسك بما فيه سعادته دنيا وأخرى.

رابعاً: تضامن كل من ينتسب إلى الجمعية في التعامل، بحيث ينحصر تعاملهم فيما بينهم على حسب الإمكان ليأمنوا من غش الأجانب وتطمئن قلوبهم للتعامل (٢).

---

[١] - أضواء على حركات الدعوة والإصلاح في العصر الحديث للباحث ص ١٧٦ ط أولى ٢٠٠٣م – القاهرة.

[٢]- لعل من الأفضل ألا يقتصر الأمر على المنتمي إلى الجمعية في تعاملاته مع أقرانه من نفس الانتماء، وينعزل عن الناس بحجة طلب الأمن من شرور الناس وغشهم وتدليسهم.

أما عن وسائل تحقيق تلك الأغراض فيقول –رحمه الله –: في ضوء هذه الأغراض انطلقت مسيرة الجمعية بعد اعتماد قانونها الذي أعطاها الحق لأن تسعى لتحقيق الغرض الذي أسست من أجله فأضحى لها الحق في:

١– نشر التعليم مستخدمة جميع وسائل النشر عن طريق:

- الوعظ والإرشاد في المساجد وغيرها.
- النشرات والمجلات والمقالات في الصحف وغيرها.
- إصدار الكتب الدينية النافعة تحت إشراف هيئة علماء الجمعية، بأقلام نزيهة، وفكر بناء يصحح للمسلمين مسيرتهم في ظل كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ
- المناظرات بين علماء الجمعية وكل من تسول له نفسه بالعمل على تشويه معالم ديننا الحنيف أو الطعن في الصحابة أئمة هذه الأمة.
- الرد على من ينادي بفصل الدين عن السياسة، ذلك لأن الدين الإسلامي هو دين دولة، وهذا ما يدين به علماء الجمعية وجميع المنتسبين إليها، ويكون الرد بالحكمة والموعظة الحسنة في ضوء الكتاب والسنة.
- تأسيس المعاهد الدينية، ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم ومعرفة أحكام التلاوة، وكذلك تأسيس المدارس ودور الحضانة للمساهمة في تصحيح مسيرة الأجيال المسلمة على منهاج الكتاب والسنة.
- فتح فصول التقوية في المواد الدراسية لمساعدة أبناء المسلمين في ركوب عجلة التقدم على طريق العلم الجاد الصحيح.
- تكوين لجنة للفتوى في شئون المسلمين في الدين والدنيا. إلى غير ذلك مما يمكن عمله لخدمة نشر العلم.

٢- في ظل الغرض الثاني، من حق الجمعية أن تقدم الأعمال التالية:

- إنشاء معاهد إعداد الدعاة لتخريج صفوة من الوعاظ ممن تتوفر لديهم القدرة على العمل في مجال الدعوة إلى الله عز وجل في مساجد الجمعية وغيرها.
- إقامة الدورات التدريبية لوعاظ الجمعية لتجديد العزم في نفوسهم، واطلاعهم على وسائل الدعوة في مجتمعنا المعاصر، ووضع أيديهم على وسائل الانحراف، ومنهج الإسلام في علاج كل من يخرج عن طريق هذا الدين الحنيف.
- تأسيس المكتبات العلمية وتزويدها بكتب التراث، وكل ما يصنف في عالمنا المعاصر، ليأمن أبناء الجمعية شر الانحراف عن العقيدة، وتشويه العبادات.

٣- في ظل الغرض الثالث يحق لأبناء الجمعية والمسئولين عنها أن تنطلق مسيرتهم في تحقيق ما يأتي:

- رعاية الفقراء مادياً ومعنوياً، عن طريق تقديم الإعانات المادية، أو تأسيس حرفة للأسر الفقيرة لزيادة الدخل وسد الحاجات الضرورية لتعيش الأسرة الفقيرة حياة كريمة.
- إنشاء مشروعات إنتاجية تسهم في تشغيل الأيدي العاطلة وبخاصة أصحاب الأسر الفقيرة، كمشروعات إنتاج الجلباب بأيدي أمهات الأيتام، التريكو، والمشاغل وصناعة السجاد وبعض المفروشات وغيرها من المشروعات التي تدر دخلاً كبيراً بجهد قليل ونفقة متواضعة، وذلك إسهاما من الجمعية مع الدولة في رعاية الطبقات المعدمة.
- رعاية طلاب العلم والإنفاق عليهم لمواصلة حياتهم التعليمية.

- إنشاء دور لليتامى لكفالتهم، ودور للقطاء لحسن رعايتهم وتعويضهم ما فقدوه من حنان وغيره.
- إعانة المعوقين والعمل على إيجاد عمل مناسب لهم، تعويضا عما فقدوه.

٤- في ضوء الغرض الرابع يمكن للقائمين على أمر الجمعية أن يحققوا ما يلي:

- إنشاء المشافي والمستوصفات لتيسير علاج أبناء الجمعية المنتسبين إليها وغيرهم من أبناء المسلمين نظير مبلغ رمزي لأن الأصل في تأسيس الجمعية التعاون على البر والتقوى وليس المراد جمع المال.
- إنشاء جمعيات تعاونية تيسر على أبناء هذه الجمعية الحصول على ما يحتاجون إليه من مواد تموينية ومنزلية وغيرها بعيداً عن غش وجشع التجار.
- إقامة أي مشروعات تخدم البيئة والمجتمع بما في ذلك مشروعات سكنية وغيرها، لإعانة الشباب المسلم على التحصن بالزواج وتأسيس أسرة مسلمة،
- تأسيس شركة فأكثر لتنمية أموال الجمعية إذا رأى المسئولون المصلحة في ذلك.

إلى غير ذلك مما يقدم خدمات لأبناء الجمعية وغيرهم."[١] وها نحن نرى الجمعية تعيش هموم الناس، وتخفف عنهم ما هم فيه فتعلم الجاهل، وتطعم الجائع، وتكفل اليتيم، وتواسي المحتاج، وتعين ذوي الاحتياجات الخاصة من المعاقين والمرضى، وتشغل الأرامل وتغنيهن، وتفتح الكتاتيب، وتنشئ الجمعيات، وتقيم المشروعات، وتعول الأسر الفقيرة بالزكاة وغيرها.. الخ.. الخ، وهذا كله جعل للجمعية مصداقية لدي الناس وغدت الدعوة

[١] - المصدر السابق ص١٧٩- ١٨٢.

النظرية تصدقها الأعمال، وهذا لا شك شيء مطلوب وطيب، وإن كان ينقصه تهديف وتفعيل هذه الأنشطة لربط الناس بالإسلام ومنهجه، وليس الارتباط بالجمعية لمجرد أنها تقوم بعمل خدمي، لكنه في الجملة نشاط اجتماعي جاد ومفيد، خفف ولو جزئيا عن المجتمع المصري كثيرا من همومه، وحقق شيئا من متطلباته.

– العمل الاجتماعي لدي جماعة الإخوان المسلمين بمصر

الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية منذ تأسيسها في القرن العشرين، أسسها الشيخ حسن البنا –رحمه الله – سنة ١٩٢٨ م، وامتدت الجماعة إلى أقطار كثيرة في العالم قاربت المائة قطر، نصت الجماعة كحركة إصلاحية في كثير من وثائقها ولوائحها على أن العمل الاجتماعي جزء من الإسلام، وأن الجماعة من جملة خصائصها أنها "فكرة اجتماعية: لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامي، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها"[١].

وتنص اللائحة الداخلية لقسم الخدمة الاجتماعية بالجماعة على أن لهذا القسم ستة أغراض، تقول اللائحة: "للقسم ستة أغراض رئيسية:

أ– العمل على مساعدة الأسر الفقيرة.

ب– نشر الصناعات المنزلية والزراعية الصغيرة.

---

[١] – مجموعة رسائل الشيخ حسن البنا – رسالة المؤتمر الخامس ص ١٧٥ ط دار الدعوة – القاهرة – بدون

ج- الدعاية الصحية والاجتماعية عن طريق أسابيع الإصلاح.

د- تنظيم الزكاة والإشراف عليها وفق لائحتها المقررة.

هـ- تنظيم الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقاومة الآفات الضارة، وتقديم الإرشادات النافعة.

و- غير ذلك من وسائل الخدمة الاجتماعية العامة التي يحض عليها الإسلام،....."[1].

وها هي بعض ما قامت به الجماعة من صور العمل الاجتماعي تفعيلا لما نصت عليه لوائحها:

١- قامت الجماعة بفتح كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم نهارا،ومدارس ليلية لتعليم الفلاحين والعمال، وأقسام خاصة للراسبين في الامتحانات العامة يتولى التدريس فيها أساتذة أخصائيون، وهذه المناشط وإن كانت تعليمية لكنها تعد خدمة اجتماعية لها أثرها في النهوض بالمجتمع.

٢- إنشاء شعب لتعليم الصبيان الذي حرموا من التعليم لاشتغالهم بالصناعات.

٣- دور للصناعات ملحقة بالمعاهد الإخوانية، يتعلم فيها الذين لا يستطيعون إتمام التعليم.

٤- العمل على النهوض بالقرية المصرية، والإصلاح الريفي، فتبارت شعب الإخوان في إطعام الفقراء، وعمل لجان للزكاة، والعناية بالمصالحة بين المتخاصمين[1].

---

[1] - أوراق من تاريخ الإخوان المسلمون " مرحلة التكوين استكمال البناء الداخلي أ/ جمعة أمين عبد العزيز ج/٥-ص/٣٦٨ ط أولى ٢٠٠٥ م -دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة.

٥- وتولت بعض الشعب إحصاء الأطفال المشردين والأسر الفقيرة لتشغيل الأطفال وإعالة العجزة الذين لا عائل لهم. ولهذا فقد أنشئوا قبل صدور القانون ٤٥ الخاص بتنظيم الجماعات والمؤسسات الخيرية مكتبا خاصا للمساعدات الاجتماعية لرعاية الأسر الفقيرة على أساس عملي صحيح،وحينما صدر القانون سنة ٤٥ تطور هذا المكتب فغدا قسما مستقلا له لائحته الخاصة وسمي باسم "جماعات أقسام البر والخدمات الاجتماعية للإخوان المسلمون" واتسعت دائرة نشاط إلى تقديم خدمات صحية وثقافية إلى جانب ما كان يقوم مكتب المساعدات الاجتماعية من خدمات.

وقدمت أقسام البر والخدمات الاجتماعية خدمات كثيرة لا سبيل لها إلى حصرها وكان له حتى سنة ٤٨ خمسمائة شعبة في أنحاء مصر تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية.[٢]

٦- ومن أثار جوالة الإخوان في المجتمع المصري أنه لما كان اليأس يخيم على النفوس والسلبية والانهزامية.. فجاءت جوالة الإخوان ببرامجها ومناهجها وأساليبها الإصلاحية وأناشيدها الحماسية فأيقظت الأمل في نفس البائس وأحيت مفاهيم الجهاد وبعثت الإيجابية وروح الفتوة والشجاعة في النفوس.

٧- في سنة ٤٥ انتشر وباء "الملاريا" في صعيد مصر فجنَّدت الجماعة جميع أفراد جوَّالاتها في هذه المناطق لمواجهة الخطر فعملوا جنبا إلى جنب مع موظفي وزارة الصحة وهيئات الهلال الأحمر.

---

[١] - انظر/ إرشاد المجتمع فريضة شرعية وضرورة اجتماعية. أ / حسام حميدة. ص ٤٢

[٢] - السابق ص ٤٣، ٤٤.

وفي هذا الوقت العصيب جاء بلاء الفيضان الذي عم القرى ودمرها فكانت الجوالة هم الحراس الذين قاموا بحراسة الجسور والتبليغ عنها والعمل مع الأهليين ورجال الإدارة في إنشاء التحصينات التي تقي الفيضان.

٨- في ١٩٤٧ انتشر وباء الكوليرا في مصر خاصة الوجه البحري ووضع الشيخ حسن البنَّا سبعين ألف جوال من " جوالة الإخوان المسلمون " تحت إمرة المسئولين في وزارة الصحة والجهات المعنية... فساهموا في النشاط الطبي أحسن مساهمة.

وأدي ذلك إلى دقة في الاتصال وسرعة التبليغ عن الحالات المصابة ومحاصرة القرى الموبوءة، ومنع دخول أحد أو خروجه منها، وعزل الأصحاء عن المرضى ونشر الإرشادات الصحية والقيام بأعمال النظافة وتطهير المساكن بالمطهرات، وكان تقدير المسئولين في ذلك الوقت ما أعلنه وزير الصحة د. نجيب اسكندر من الإشادة بمجهود جوالة الإخوان،كما رأت وزارة الشئون الاجتماعية أن تقدم لشباب الإخوان مكافآت مالية تقديراُ لدورهم ولكن الأستاذ حسن البنا رفض هذه المكافآت فقد كانوا يقومون بواجبهم الوطني الذي يفرض عليهم دينهم وعقيدتهم ومشاعرهم الإسلامية.

٩- المساهمة في ميادين الخدمة العامة في محيط القرية المصرية قاموا بتنظيف حواريها وشوارعها وأوجدوا فوانيس لإضاءتها ونشروا الوعي الصحي وحاربوا الجهل بفصول محو الأمية وشكلوا مجالس مصالحات.[١]

١٠- وفي مجال الفقر وإعانة الفقراء نشرت الصحف حتى غير الإخوانية منذ قامت حركة الإخوان في القطر المصري صورا من النشاط في هذا الجانب، فقد ذكرت مجلات "الوفد" المصري ١٩٤١م، ومجلة "الصعيد الأقصى" ١٩٤٢ م، ومجلة "الأقاليم" ١٩٤٢

[١] - السابق ٤٥، ٤٦ بتصرف.

م، ومجلة "الأمير" ١٩٤١ م صورا عظيمة لأعمال الجماعة في هذا الجانب من ذلك كسوة الفقراء في عيد الفطر، والقيام بمشروع مقاومة الحفاء، وإيواء وإطعام المهاجرين،وتكفين الموتى، وعلاج المرضى، كل ذلك بالأرقام والإحصاءات والتواريخ.[١] ولا شك أن ذلك أسهم في التخفيف عن الشعب المصري الذي كان وما يزال يعاني من مشكلة الفقر.

١١- الرعاية الصحية: بذل الإخوان في المجال الصحي كخدمة اجتماعية جهودا كبيرة، فقدموا الرعاية الصحية للجماهير بأقل تكلفة، عن طريق إنشاء عيادات وصيدليات، وكانت هذه العيادات والصيدليات مضرب المثل في العناية والنظافة والجدية، حتى كتبت إحدى المجلات سنة ١٩٤١م وهي مجلة "العيون" تقول عن العمل الصحي للإخوان بالمنصورة: "هذه عيادات الإخوان وصيدلياتهم تنافس المستشفيات الأميرية بما حازته من ثقة المرضى، وأينما سرت في الشوارع سمعت على ألسنة العامة من البنات والنساء والأطفال النصيحة للمرضى بالذهاب إلى عيادات الإخوان المسلمين، ولا شك أن هذا نجاح باهر يدل على صدق عقيدة هؤلاء السادة الذين يقومون بهذا الأمر في هذه الشعبة [٢]"

١٢- لجان المصالحات: قامت الجماعة بتكوين لجان للمصالحة بين المتخاصمين، وكان لهذه اللجان أثر كبير في ترطيب القلوب، وتهدئة النفوس، وإعادة المحبة والوئام بين الجميع.

---

[١] - راجع ذلك كله بالتفصيل الدقيق في أوراق من تاريخ الإخوان – مصدر سابق ج/ ٤ ص / ٣٩٤.

[١] - السابق ج/ ٤ ص ٣٩٤.

[٢] - السابق ج/ ٤ ص ٣٩٦

١٣ – لجان الإغاثة: حيث كانت شعب – الإخوان كما تنص وثائق الجماعة– تلجأ إلى تكوين هذه اللجان لتقوم بواجبها الاجتماعي مع الأهالي حال حدوث كوارث، ومن بين هذه الكوارث المشهورة في تاريخ مصر تعرض إحدى البواخر وتدعى (الغزالة) إلى حريق أدى إلى وفاة البعض،فما كان من لجنة الإغاثة حينئذ إلا القيام بدورها في جمع التبرعات المالية والعينية وتوزيعها على المنكوبين وأهاليهم، وثم توجهت لجان الإغاثة إلى الجمعيات والهيئات الأخرى لإعطائها البيانات الصحيحة واستدرار عطفها نحو المصابين، وقررت الجمعية تقديم العزاء الحار لسائر أهالي المصابين.

وحين سببت الحرب العالمية لمدينة الإسكندرية الخراب والدمار،اضطر أهلها إلى البحث عن أماكن الأمن والأمان فتركوا ديارهم وهاجروا إلى الشرقية وأماكن أخرى، فما كان من لجان الإغاثة إلا أن وجهت نداءات لجميع الإخوان للتبرع لإخوانهم المنكوبين، فتبرع الإخوان وقامت لجان من الإخوان باستقبال اللاجئين المهجرين بالزقازيق، ووفرت لهم أسباب الراحة والطمأنينة.

يقول د/علي عبد الحليم محمود: "وقد كان النشاط الاجتماعي في الجماعة عموما وفي الشعب على وجه الخصوص هو المجال التطبيقي لمنهج التربية في الجماعة.

وقد اتسع مدى النشاط الاجتماعي، متمشيا في ذلك مع أهداف الجماعة التي نص عليها قانون النظام الأساسي في الفقرة (د) من المادة الثانية في العبارة التالية:

" تحقيق العدالة الاجتماعية، والتأمين الاجتماعي لكل مواطن، والمساهمة في الخدمة الشعبية، ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة، وتشجيع أعمال البر والخير"[١]

[١] – منهج التربية عند الإخوان المسلمين ج/ ٢ ص ١,٧٣ ط أولى ١٩٩٩ م دار الوفاء – المنصورة – مصر.

ثم قال: "وإذا شئنا أن نعدد أنواع الخدمات الاجتماعية التي كانت الجماعة تمارسها أو الشعبة ذكرنا منها ما يلي:

١- الإشراف على كثير من المساجد، والإنفاق عليها في معظم الأحيان، وتزويدها بإمام وخطيب، بل أنشأت الجماعة عددا من المساجد في القطر المصري، وكان بعض هذه المساجد من الضخامة بحيث يعد مؤسسة كبيرة.

٢- وتقديم المعونات الأدبية والمادية والمالية لعدد كبير من الأسر الفقيرة، تشغيل القادرين من أفراد هذه الأسر على العمل.

٣- وتنظيم جمع الزكاة من الإخوان أولا، وممن يرغب من الناس بعد ذلك وتوجيهها في هذه الخدمات الاجتماعية.

٤- وزاد طموح الجماعة في العمل الاجتماعي الرائد فأخذت في تنفيذ فكرة "المدينة الفاضلة" أو الأنموذجية، بل كونوا الجمعية التعاونية المصرية للتوفير والتسليف لبناء المساكن بمصر القديمة، وقرروا إنشاء مدينة أنموذجية تعاونية، شرطوا في ساكنها أن يكون حسن السمعة، مشهورا بالأخلاق، والروح التعاوني، والخلق الاجتماعي.

ووضع لتمويل هذه المدينة نظام جيد، وخططت المدينة وصممت المساكن، وكان المسكن مائة وخمسين مترا، تحيط به مساحة مائتين وخمسين مترا مزروعة مشجرة.

ويسدد خمس ثمنه وهو مبلغ مائتي جنيه، ثم يقسط باقي الثمن على عشر سنوات دون فوائد.

٥- وكانت الجماعة قد أخذت في تنفيذ مشروع اجتماعي لم تسبق إليه، يستهدف تقديم المساعدات للاجئين الفلسطينيين سمته "مشروع قطار فلسطين" وقد انهالت على

الجماعة التبرعات واستأجرت الجماعة عربات لجمع هذه التبرعات وتوجيهها نحو وجهتها.

٦- وقامت الجماعة بإنشاء مشروع للتكافل الاجتماعي بين الإخوان بإقامة مشروعات تجارية يخصص دخلها وتستثمر أموالها لإعانة الذين يتعطلون عن العمل لسبب أو لآخر.

٧- وإنشاء المستوصفات الطبية والعيادات التي تقدم الخدمات الصحية بأجور رمزية، حتى بلغ عددها وحدها في القاهرة أكثر من عشرين مستوصفا، يقدم الخدمة لكل المواطنين."[١]

لا شك أن هذا جزء من تاريخ الجماعة في العمل الاجتماعي يوم كانت جماعة رسمية معترف بها من الناحية القانونية، ولا زالت تمارس نفس الخدمات والأدوار الاجتماعية بصورة فردية وجماعية، حسب الحال، ومن هنا رأينا شدة إقبال الجماهير عليها، وتعلقها بمشروعها الإصلاحي.

ويا ليت الأنظمة تركت لهذه الجمعيات والجماعات الخيرية والدعوية مساحة تمارس فيها واجباتها، وتساعدها في القيام بواجباتها الشرعية،إذا لسعد الناس وخفت همومهم، وحلت كثير من مشكلاتهم الحياتية، وهذا لا شك يخفف عن الحكومة نوعا ما من أعبائها.

ثالثا: العمل الاجتماعي المعاصر عند غير المسلمين

– العمل الاجتماعي لدى جماعات التنصير.

---

[١] – السابق ج/٢ ص ١٧٣ – ١٧٤ – بتصرف يسير

يمثل العمل الاجتماعي أكبر وسيلة من وسائل المنصرين، وأوسع منفذ لهم للاتصال بالجمهور مباشرة مستغلين ألام الناس وحاجاتهم، يقول د/عمر فروخ: (جاء في كتاب "مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين" ما يلي: نحن نعني بالعمل الاجتماعي المسيحي لتطبيق مبادئ يسوع المسيح في جميع الصلات الإنسانية، إن المسلمين يدعون أن في الإسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر، فعلينا أن نقاوم الإسلام دينيا بالأسلحة الروحية، فالنشاط الاجتماعي يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمه.. فلنبدأ بالصلات اليومية، تلك التي تتصل بالطفل والمرأة، ثم نتوسع في تلك الصلات حتى نبلغ إلى المبادئ الواسعة التي أقرتها عصبة الأمم... فأمام الكنيسة اليوم مناسبات ممتازة تتيح للمبشر المسيحي أن يتصل برجال ونساء في البيئة الإسلامية الراقية لم يكن بإمكانه من قبل أن يتصل بهم.. من أجل ذلك ننصح بالسير في الأعمال الاجتماعية على الأسس التالية:

إيجاد بيوت للرجال والنساء وخصوصا الطلبة منهم ومنهن، وإيجاد أندية، والاعتناء بالتعليم الرياضي وأعمال الترفيه، وحشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال.."[1] ونسوق هنا طرفا من العمل الاجتماعي في حركة التنصير العالمية لنرى إلى أي مدى كانت فاعلية العمل الاجتماعي في عمل المنصرين.

أولا: الطب

لقد كان المجال الطبي والتطبيب من أخصب مجالات التنصير، وقد صرحوا بذلك حيث قال أحدهم: "حيث تجد بشرا تجد آلاما وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب وحيث تكون الحاجة للطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير"[2].

---

[1] – التبشير والاستعمار /عمر فروخ ١٩١ –١٩٢.

[2] – – التبشير والاستعمار – ٥٩.

والأطباء النصارى – خاصة أولئك الذين يعملون مع إرساليات التنصير- يعتبرون أنفسهم منصرين قبل أن يكونوا أطباء يقول "اراهاريس" طبيب الإرسالية التنصيرية بالشام وطرابلس: "يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولا في لحظة واحدة انه مبشر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك"[1]

فـ" بعثات التطبيب التي يبدو من ظاهرها الإسهام في مجالات الإغاثة الطبية والصحية، تعمل على خدمة النصرانية والتنصير من خلال إنشاء المستشفيات والمستوصفات والعيادات المتنقلة. وتعمد إلى تشغيل فتيات المجتمع ممرضات ومشرفات اجتماعيات يتمشين مع سياسة هذه المؤسسات الطبية. وقد يكنَّ من بنات المجتمع المتنصرات. وأقرب مثال حي على هذا جهود المنصرة الراحلة "تيريزا"، التي تُدعى بالأم، والحائزة على جائزة نوبل، وما تقوم به في مجال التطبيب من أنشطة على مستوى القارة الهندية بالتركيز، وعلى مستوى العالم الإسلامي بعامة، فقد تحركت في الآونة الأخيرة إلى شمال العراق، حيث محنة المسلمين الأكراد لاتزال قائمة وفيها من المجال الخصب لهذه الأعمال ما لا يخطر على قلب من لم يقف على المشكلة بنفسه.

وكذلك البعثات الطبية في منطقة الخليج العربية التي قدمت إليها منذ سنة ١٣٠٨هـ-١٨٩١م على يد الدكتور "شارون توماس"، ثم الدكتور "آرثر بينيت" بين سنة ١٣٢٨هـ-١٩٠١.م وسنة ١٣٢٣هـ-١٩١٥م.

وتُستغَل البعثات الطبية التنصيرية -كما يقال- في إجراء التجارب حول مدى صلاحية الأدوية التي ترفض هيئات الأغذية والأدوية إجراءها على المجتمع الغربي، قبل أن تثبت فعاليتها في الأرانب أو الفئران، فيؤتى بها إلى المناطق التي تتركز فيها مستشفيات

---

[1] – اثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية /خادم حسين بخش ص ٨٩ دار حراء – مكة ١٤٠٨- ١٩٧٧م.

ومستوصفات ومختبرات تنصيرية، فتُجرى فيها التجارب على البشر، ثم يكتب بها تقارير إلى هيئات الأغذية والأدوية الغربية لإقرار استخدامها لتركَّب وتصنَّع ثم تصرف للناس. ومع أن هذا ليس هدفًا لهذه الجمعيات التنصيرية، ولم يكن في يومٍ من الأيام يدور في خلد المنصرين الأوائل، إلا أن بعض المنصرين المعاصرين قد لا يمانعون من مساعدة هذه الهيئات في القيام بالتجارب على البشر خارج الإطار الغربي ويظهر هذا واضحًا أثناء الحروب باستغلال الأسرى لهذه التجارب"[1]. وقد تخصصت حملات ومؤسسات لاستغلال الطب في التنصير، من ذلك " حملة التنصير العالمية، وتأسست سنة ١٣٣١هـ-١٩١٣م في الولايات المتحدة الأمريكية، وتهتم بالطب والتعليم والأدب والترجمة "[2] وقد دأب هؤلاء المنصرون الأطباء على شيء مما يمكن أن يكون إكراها على المسيحية، بل هو الإكراه فعلا.

يذكر د/عبد العزيز الكحلوت أنَّ "المرضى الذين يدخلون هذه المستشفيات التنصيرية أو غيرها يجبرون على الاعتراف بأنَّ الشافي والمنقذ هو المسيح"[3].. وهكذا يتحول العمل الاجتماعي في المجال الطبي إلى عمل تنصيري بحت.

ثانياً: الإغاثة والمساعدات واستغلال الكوارث والحروب

وهذه من أخطر الجوانب الاجتماعية التي تستغل بشكل واسع في عملية التنصير،فكثير من المتنصرين إنما تنصروا تحت وطأة الحاجة والعوز، وضغط الفقر وأنَّات

---

[1] – التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته د/ على بن إبراهيم النملة ٨٥– ٨٧ ط ثالثة – ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م –السعودية.

[2] – التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته د/ على بن إبراهيم النملة ص ٧٧–٧٨.

[3] – انظر التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء– عبد العزيز الكحلوت – ص ٨٨ ط٢– طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

الجوع، يقول أحد هؤلاء المتنصرين من النيجر وهو: جبريل سليمان "أما الكنيسة فإنها تشترط علينا في حال رغبتنا في الحصول على مساعداتها أن نزورها لتلقي دروس في الديانة المسيحية"[1].

أما "بعثات الإغاثة، حيث يهُبُّ الجميع رجالاً ونساءً، صغارًا وكبارًا يجلبون معهم المؤن والملابس والخيام وغيرها، ويقدمونها على أنها نعمة من عيسى بن مريم -عليهما السلام- سواء أكان هذا الإيحاء واضحًا بالرموز والشعارات، أم بطريق خفي يصلون إليه بحذر خوف الابتعاد عنهم، أو التحريض عليهم من قبل المتنبهين.

ويحرص المنصرون على "دراسة أقوال المسلمين وعاداتهم، ثم التردد إليهم كي يأنسوا إليهم، فلا يستغرب أن يستغل هؤلاء تدهور الحالة الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين، وسقوط أغلبهم ضحية الفقر المدقع، والخصاصة والمجاعة، والأوبئة، ليتصلوا بهم مقدمين لهم المساعدات، خاصة للنساء والأطفال.

ومعلوم الآن أنَّ ميزانيات المنصرين في هذا المجال تخطَّت المائة وثمانين مليار دولار سنويًا [.....١٨٠]، ولو حصرت ميزانيات الهيئات الإغاثية الإسلامية العاملة في الساحة لما وصلت - على حدِّ علمي- إلى مليار دولار [.....١] سنويًا.

أما عدد الجمعيات التنصيرية العاملة في الإغاثة بالمقارنة بالجمعيات الإسلامية العاملة في المجال نفسه فإنها تفوق كثيرًا، وبأعداد غير قابلة للمقارنة"[2].

ومن صور استغلال الكوارث للتنصير أنهم يقومون بتبني الأطفال التي تقع فيها الكوارث الطبيعية وغيرها من الحروب والأزمات المختلفة، وهذا تقرير خطير يمثل نوعا من

---

[1] - جريدة الوطن السعودية بتاريخ ٢٣/١٢/ ٢٠٠٥ م

[2] - التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته ٩١- ٩٢.

أبشع أنواع الاستغلال النصراني التقرير بعنوان "تبني أطفال الفقراء أحدث وسائل التبشير" يقول التقرير: "أصبح التنصير أو التهويد بالتبني هو احدث صور الاستثمار التبشيري للفقر في العالم الثالث.. ففي تقرير نشره فرع منظمة رعاية الطفولة والأمومة «يونيسيف» في ألمانيا هذا الأسبوع، ذكر إحصاء أن عدد أطفال الدول الفقيرة الذين تم تبنيهم من قبل عائلات قادرة مالياً في دول الغرب هو ٢٣ ألف طفل، خلال العام ١٩٩٩ وحده.

كما أشار الإحصاء إلى أن هؤلاء الأطفال تم تبنيهم في ٧ دول غربية هي: الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا واستراليا والسويد»، وان غالبيتهم من ثلاث قارات هي: إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية.

ووفقا لتقرير اليونيسيف، فان الوازع الرئيس لتبني أطفال العالم الثالث هو حاجة بعض الأسر الغربية إلى الأطفال بسبب عدم قدرة هذه الأسر على الإنجاب، كما أن المؤسسات الدينية الكبرى في الغرب –كما يقول التقرير – تحث أتباعها – وبالذات في الكنائس المسيحية ومعابد اليهود – من اجل تبني أطفال الدول الفقيرة والمناطق المنكوبة بالمجاعات والكوارث الطبيعية، وغير الطبيعية كالحروب وغيرها.

وحسب التقرير، فان التبني يحقق مصلحة مزدوجة، الأولى هي: سد حاجة الأسر المحرومة من الإنجاب إلى الأطفال، والثانية هي: سد احتياجات هؤلاء الأطفال إلى المأوى الملائم والطعام الجيد والكساء النظيف والتعليم المناسب، وهي أشياء تكفلها لهم العائلات الميسورة الحال بالتعاون مع المؤسسات الإنسانية والدينية والتعليمية في الغرب.

وبالإضافة إلى عمليات التبني – التي يتم بمقتضاها إحضار أطفال الدول الفقيرة من الأيتام أو المشردين إلى العائلات الغنية في الغرب من، خلال طلبات رسمية تتقدم بها هذه العائلات إلى وزارات الهجرة المختصة في بلادهم – تقوم مؤسسات أخرى ذات طابع ديني أو إنساني بحملات واسعة للترويج لطريقة أخرى من طرق التبني، يطلق عليها

البعض اسم «التبني عبر البحار»، وفي إطار هذه الطريقة.. تقوم جمعيات خيرية (لا يحددها تقرير اليونيسيف) بإعداد ملفات حول عشرات الآلاف من الأطفال الأيتام والمشردين في الدول الفقيرة، وإرسالها إلى المؤسسات الدينية والإنسانية في الغرب، والتي تقوم بدورها بطبع هذه الملفات – مرفقة بصور الأطفال – وتوزيعها حسب الطلب على الأسر التي ترغب في إعالة من يشاءون منهم بطريقة الكفالة أو تولي نفقات أو جزء من نفقات المعيشة والتعليم الخاصة بهؤلاء الأطفال.

وفي ضوء هذه الطريقة فان الجمعيات الخيرية – التي يتحدث عنها التقرير، ويقول إنها تقوم بتجميع معلومات عن الأطفال الأيتام والمشردين، ومن ثم إرسالها إلى المؤسسات الدينية والإنسانية في الغرب – هي على الأرجح جمعيات تابعة للإرساليات التبشيرية التي توجهها الكنائس الغربية الكبرى إلى الدول الفقيرة والمنكوبة.

ويحذر تقرير الفرع الألماني لمنظمة رعاية الأمومة والطفولة – الذي أذاع نتائجه تليفزيون هيئة الإذاعة الكندية «سي بي سي» أمس الخميس – من تدخل منظمات تجارية تهدف إلى الربح في الحملات الداعية إلى تبني الأطفال الفقراء، ويقول التقرير إن نشاط هذه المنظمات بدأ في الازدهار مؤخرا بسبب تزايد الطلب على التبني في الدول الغربية من ناحية، ولقيام وزارات الهجرة في هذه الدول – من ناحية أخرى – بتضييق الخناق على العائلات الراغبة في التبني، ومطالبتها بتقديم مستندات عديدة لإثبات قدرة هذه العائلات على الإنفاق على الأطفال القادمين من الخارج.

ويشير التقرير إلى تدخل المنظمات التجارية في الأنشطة المتعلقة بتبني الأطفال على انه خطر كبير، وأن تبني الأطفال قد يتحول – في ظل هذه المنظمات – إلى ضرب من ضروب تجارة الرقيق، كما يصف التقرير ألبومات صور الأطفال – التي تطبعها هذه المنظمات، ومن ثم ترسلها إلى الأسر الراغبة في التبني نظير عمولات مالية – بأنه عمل

غير حضاري وان من شأنها أن تحول الأطفال إلى سلعة تجارية، تخضع لقوانين العرض والطلب، وبدلا من أن تكون القاعدة الصحيحة هي البحث عن أنسب أسرة لطفل يتيم فإنها ستتحول – بسبب هذه الأعمال – إلى البحث عن أنسب طفل لأسرة غنية أو ربما لمن يدفع أكثر"[1]

وفي حرب البوسنة والهرسك تم تهجير .....٢ طفل بوسنوي من أبناء المسلمين، وأن الفاتيكان يحتفظ بعدد غير قليل من هؤلاء،وتم تنصيرهم مستغلين فطرتهم وبراءتهم. وقد كانت جماعات التنصير هناك منتشرة كالوباء، تقودها دول كبرى[2]

وفي أقرب كارثة إنسانية في بلاد الإسلام "كارثة حرب العراق "كانت الجيوش التنصيرية مصاحبة الجيوش العسكرية، نشر موقع "إسلام أون لاين" بتاريخ ٢٧-١٢-٢٠٠٣ م بعض ما نشرته الصحف الإنجليزية" أورد الموقع ذلك تحت عنوان: "التنصير في العراق على قدم وساق" وقال:تحت غطاء من السرية وخلف ستار تقديم المساعدات الإنسانية، يتدفق المنصرون ومعظمهم من البروتستانت، على العراق، خوفا من أن "الباب المفتوح" الآن ربما يغلق حينما تتسلم حكومة عراقية السلطة خلال ٦ شهور وفق الاتفاق بين بول بريمر الحاكم الأمريكي للعراق ومجلس الحكم الانتقالي العراقي، وذلك بحسب صحيفة " البريطانية.

وقالت الصحيفة في موقعها الإلكتروني السبت ٢٧-١٢-٢٠٠٣م: إن الهدف الآن هو توزيع نحو مليون إنجيل باللغة العربية، وشرائط فيديو، وكراسات دعائية في أنحاء العراق بعد أن تم توزيع ٨ آلاف نسخة في الفترة الماضية.

---

[1] – موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net

[2] – انظر تقرير كتبه / عبد الباقي خليفة في مجلة المجتمع الكويتية ٣ ربيع الآخر ١٤٢١هـ.

وأضافت الصحيفة أن المنصرين البروتستانت الذين يعتقدون أن المسلمين والمسيحيين لا يعبدون نفس الإله، يتنافسون على الإرساليات التنصيرية المستقبلية بالتوازي مع "هيئة الإرساليات الدولية" الذراع التنصيرية للمعمدانيين الجنوبيين الذين يعدون أكبر طائفة بروتستانتية في أمريكا.

وفي خطاب لأتباع كنيسته البالغ عددهم ١٦ مليون شخص، قال "جون برادي" رئيس "هيئة الإرساليات الدولية" للشرق الأوسط وشمال أفريقيا: "لقد دعا المعمدانيون الجنوبيون لسنوات أن يكون العراق مفتوحا للتنصير".

تنصير متنكر

وقالت الصحيفة: إن جماعات المنصرين تتنكر تحت ستار تقديم المواد الغذائية والمعونات الطبية، لكنهم في الحقيقة يقومون بمهام تنصيرية.

وقالت نشرة لـ"هيئة الإرساليات الدولية": إن العراقيين فهموا أن الذي يمنحهم المواد الغذائية مسيحيون أمريكيون.

وقالت نشرة أخرى: إن عمال الإغاثة يوزعون نسخا من الإنجيل (العهد الجديد).

ومن بين القائمين بعمليات التنصير القس البروتستانتي "جون حنا" من ولاية أوهايو الأمريكية الذي عاد من العراق مؤخرا، ويعد العدة للسفر إليه مرة أخرى واصفا نفسه بأنه من عمال المساعدات الإنسانية.

والتقى حنا في نوفمبر ٢٠٠٣م في بغداد مع بعثتين تنصيريتين أمريكيتين، إحداهما من ولاية إنديانا قامت بتوزيع ١,٣ مليون كراسة دعائية على العراقيين.

وقالت جاكي كون -٧٢ عاما- التي زارت العراق إلى جانب حنا: إن بعض العراقيين الذين التقت بهم قد اعتنقوا المسيحية. وضربت مثالا على ذلك بامرأة كردية وشقيقها اعتنقتا المسيحية على يديها"

وفي ذات الموقع نقرأ: "ذكرت مجلة نيوزويك الأمريكية أن البيت الأبيض أعلن الأسبوع الماضي أنه لن يمنع ما أسماه "الجمعيات الخيرية المسيحية" من ممارسة مهامها التنصيرية داخل العراق. ويدين ٩٨% من العراقيين البالغ عددهم ٢٤ مليون نسمة بالإسلام، فيما يدين ٢% فقط بالمسيحية واليهودية.

وقالت المجلة في عددها على الإنترنت الذي نشر الخميس ١-٥-٢٠٠٣م إن جمعية الكتاب المقدس الدولي أرسلت إلى العراق ١٠ آلاف نسخة من كتيبات باللغة العربية، وتحمل عنوان "المسيح جاء بالسلام".

وأضافت أن الجمعية تعتزم إنتاج ما يقرب من ٤٠ ألف نسخة أخرى في شهر مايو الجاري، غير أنه لم يتم الإعداد بعد لنسخ هذه الكتيبات باللغة الإنجليزية.

ولم تنشر جمعية الكتاب المقدس الدولي أسماء ما تسميهم بـ"الجماعات الخيرية" التي ستقوم بتوزيع تلك الكتيبات في العراق.

ويقول روبرت فيزرلين المتحدث باسم التحالف المسيحي المبشر -إحدى الجمعيات المسيحية التي ستقدم على الخطوة نفسها- للمجلة: "سنكون حذرين إزاء هذه المسألة".

وأضاف موضحًا "سيتم الإشارة إلى المبشرين على أنهم عاملون تابعون لكنيسة مسيحية"، مشيرًا إلى أن كلمة التبشير أصبحت كلمة سيئة.

وأطعمة أيضًا

أما مارك كيللي المتحدث باسم مجلس التبشير الدولي، فأكد أنه سيتم إرسال أيضًا نسخ من الكتاب المقدس إلى العراق، مشيرًا إلى أن المجلس يقوم بإرسال الأطعمة في صناديق مكتوب عليها كلمات من الكتاب المقدس.

كانت منظمتان تنصيريتان أمريكيتان هما المؤتمر المعمداني الجنوبي أكبر التجمعات البروتستانتية في الولايات المتحدة، وفرانكلين جراهام ساماريتانس بيرس قد أعلنتا أواخر شهر مارس ٢٠٠٣ م أنهما تعدان فرق عمل لدخول العراق ونشر الديانة المسيحية بين مواطنيه بعد انتهاء الحرب"

وهكذا يلعب العدو على جراح أمتنا مستغلا كوارثها التي دبرها وحاكها،ولا يتسع المقام إلى استعراض كافة الأنشطة الاجتماعية المستغلة في عمليات التنصير، والشاهد من كل هذا: أن العدو يستغل كل الإمكانات والوسائل المؤثرة في نشر باطله، وإذا لم يتحرك المسلمون والدعاة والأثرياء على الخصوص فسوف يتحرك هؤلاء الكفار في فراغنا وستذوق الشعوب مرارة الكفر والإلحاد.

المبحث الخامس

ضوابط ومحاذير في مجال العمل الاجتماعي

العمل الاجتماعي عمل له من الأهمية والخطورة في المجتمع الإسلامي ما يستوجب إدارته والقيام به في ظل مجموعة من الضوابط والقواعد نذكر منها:

١- الإخلاص لله تعالى وابتغاء مرضاته

العمل الجماهيري أقرب إلى تغير النية، وفساد المقصد ما لم يكن القائم به متيقظا لأمر النية، فقد يكون فتنة لبعض العاملين فيه من عدة جوانب منها: جانب النية والإخلاص، ومنها الجانب المادي الذي يتطلب عفة وأمانة، ومنها فتن كفتنة النساء من حيث إن شريحة كبيرة ممن توجه إليهم الخدمات الاجتماعية من هذا الجنس، ولا شك أن كل ذلك يحتاج إلى حذر وحيطة ويقظة.

وفتنة الرياء وحب الشهرة وطلب الجاه أقرب إلى نفس العامل في هذا المجال كما قلنا، ومن هنا كان لابد عند التقعيد للعمل الاجتماعي أن نبدأ بالإخلاص.

فالناس في هذا فريقان أو بين مقصدين:

الأول: صنف لا يعدو مقصده أن يخطب ود الجماهير، يكسب أصواتهم، ويحوز إعجابهم، ربما ليصل من وراء عمله وخدماته إلى منصب أو مكانة اجتماعية بين الناس،فإذا وصل إلى مراده، وأعطاه الناس أصواتهم، نجده – في الغالب- يتنكر لجماهيره التي أيدته وصوتت له مقابل خدماته، وهذا لاحظناه كثيرا من أهل الأحزاب السياسية ممن اتخذوا العمل الاجتماعي تكأة لأغراضهم، وهؤلاء بهذه النوايا والمقاصد قد تعجلوا أجرهم في الدنيا، وليس لهم في الآخرة من نصيب، قال تعالى: ﴿ **مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ**

فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ **وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ** ﴾[2].

الثاني: صنف يريدون وجه الله تعالى وحسن مثوبته، شعارهم ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** ﴾[3] فهم مع الناس على أي حال، ليس همهم ما أهم غيرهم من كسب أصوات أو طلب جاه أو غير ذلك، فالإخلاص شعارهم، والثواب بغيتهم، فهم يحرصون على الإسرار بالعمل، وذلك أحب إليهم من الجهر به حرصا على سلامة مقاصدهم، ورجاء في القبول.

هؤلاء المخلصون هم الذين نريد، والكلام عن الإخلاص في بيان فضله، وضرورة إخلاص العاملين كلام كثير، يكفي هنا قوله تعالى: ﴿ **فاعبد الله مخلصا له الدين** ﴾[4]

وقوله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمريء ما نوى"[5]

٢- ربط الجمهور بالدعوة لا بالأشخاص

وهذا من مقتضيات القاعدة الأولى " الإخلاص " أن الدعاة وأهل الخير عند ممارسة العمل الخدمي الاجتماعي لابد وأن يربطوا الناس بخالقهم فهو المنعم على الحقيقة،المتفضل ظاهرا وباطنا، له الفضل وحده،وما العباد إلا وسيلة ظاهرة يجري الله

---

[1] – سورة الإسراء – آية ١٨.

[2] – سورة الشورى – آية ٢.

[3] – سورة الإنسان – آية ٩.

[4] – سورة الزمر – آية ٢.

[5] – رواه البخاري ك / بدء الوحي ب / بدء الوحي. وك / الأيمان والنذور ب/ النية في الأيمان. ورواه مسلم ك / الإمارة ب/ قوله صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنيات. وغيرهم.

تعالى الخير على يدي من يختاره منهم للخير، كما في الحديث: "إنما أنا قاسم والله عز وجل يعطي"[1]، ومن ثم فالدعاة حينما يقودون العمل الاجتماعي لابد وأن تفهم الجماهير من خلالهم أن الإسلام والدين والشريعة لها الفضل في أن وجهت العاملين إلى ذلك،وأوجبت تلك الواجبات وألزمت بتوصيل تلك الحقوق، وأن ما يقوم به الدعاة واجب لا تفضل أو تطوع، هنا يدرك الناس قيمة هذا الدين العظيم الذي يرعى مصالحهم.

وليعلم الدعاة أن صالح الدعوة في أن يرتبط الناس بالدعوة لا بالدعاة فالدعوة باقية، والدعاة زائلون، والدعوة معصومة والدعاة خطَّاءون.

ولا شك أن ارتباط الجماهير بالإسلام هو المقصد الأعلى من دعوتهم بكافة أساليب الدعوة الممكنة.

إن ربط الجماهير بالله تعالى وبالإسلام يحررهم من الشعور بالنقص والدونية، فهم يأخذون حقوقهم الواجبة، لا يتسوَّلون من غيرهم، ولا يطلبون شيئا ليس لهم، وهذا مطلب شرعي أن نربي في الناس العزة الإيمانية التي يشعرون من خلالها بذواتهم، وأن أقدار الله تعالى بتفاوت الناس في المعيشة لا تذل البشر ولا تجعلهم مقهورين، إنما هو قدر الابتلاء الذي يختبر به الله تعالى قلوب الفريقين المعطين والآخذين.

ومن هنا لابد من إبراز عدة مفاهيم ووضعها في الاعتبار لتفعيل هذه القاعدة:

١- أن الإنسان مستخلف في المال والنعم وليس مالكا حقيقيا لها، ودوره أن ينفذ أمر من استخلفه وأعطاه شرف هذه الوكالة.

٢- أن الإيمان يقتضي القيام بالواجب الاجتماعي، ومن لم يقم به وهو قادر عليه أثم، وفرط في تحقيق معنى إيمانه بالله تعالى.

---

[1] - الحديث رواه البخاري ك/ العلم ب / من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.

٣- أن بين المسلمين جميعا رباط وعروة وثقى هي عروة الأخوة ورباط الحب، الذي يوجب السعي في مصالح الناس والقيام بشئونهم قدر المستطاع، ومن هنا فما يقوم به الدعاة من الواجبات الإيمانية الاجتماعية ليس لهم فيه إلا فضل التأدب والقيام بالواجبات، والفضل لمن وفق هؤلاء جميعا وهو الله تعالي.

٤- تصور أن عائد العمل الاجتماعي يعود من بين ما يعود على القائمين به، فلهم الثواب من خالقهم، إذاً فهم مستفيدون معنويا وأخرويا كما استفاد الآخذون دنيويا وماديا.

من خلال التأكيد على هذه المفاهيم واستحضارها يوقن الدعاة أنهم لابد أن ينسبوا الفضل لصحابه وهو الله تعالى، وأن يربطوا الناس بخالقهم، وفي ذلك تحقيق لمزيد من الإخلاص في عمل الدعاة وأهل الخير.

ثانيا تحقيق لعزة هؤلاء الذي قدر الله تعالى عليهم أرزاقهم، وفوق ذلك كله تحريك لقلوب الجماهير نحو دينهم العظيم الذي شرع لهم الحقوق وحث على القيام بها.

٣- البدء بالأهل والعشيرة

يقول الله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾[١]

وقال سبحانه: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**﴾[٢]

وهذه جملة من الأحاديث الشريفة التي تبين ذلك

---

[١] - سورة البقرة – آية ١٢٥

[٢] - سورة الإسراء – آية ٢٦

فعن أبي أسماء عن ثوبان قال رسول الله ﷺ: "فضل دينار ينفقه الرجل. دينار ينفقه على عياله. ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله. ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله". قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال. ثم قال أبو قلابة: وأي رجل أعظم أجرا من رجل ينفق على عيال صغار. يعفهم، أوينفعهم الله به، ويغنيهم[1].

وفي صحيح مسلم كتاب "الزكاة" نجد هذه الترجمة وهذا الحديث (باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة)

عن جابر. قال: أعتق رجل من بني عزرة عبدا له عن دبر. فبلغ ذلك رسول ﷺ فقال: "ألك مال غيره" فقال: لا. فقال: "من يشتريه مني ؟" فاشتراه نعيم بن عبدالله العدوي بثمانمائة درهم. فجاء بها رسول الله ﷺ فدفعها إليه. ثم قال: "إبدأ بنفسك فتصدق عليها .فإن فضل شيء فلأهلك. فإن فضل عن أهلك شيء فلذى قرابتك. فإن فضل عن ذى قرابتك شيء فهكذا وهكذا" يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك"[2]

وترجمة أخرى ومعها الحديث تحتها باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين،ولو كانوا مشركين قال الإمام مسلم رضي الله عنه:حدثنا يحيى بن يحيى. قال: قرأت على مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ؛ أنه سمع أنس بن مالك يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا. وكان أحب أمواله إليه بيرحى. وكانت مستقبلة المسجد. وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾ [٣/ آل عمران/ الآية ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال:

---

[1] – الحديث رواه مسلم ك/ الزكاة ب/ فضل النفقة على العيال (١٦٦.).

[2] – رواه مسلم ك / الزكاة ب/ باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة.

إن الله يقول في كتابه: ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾. وإن أحب أموالي إلى بيرحى. وإنها صدقة لله. أرجو برها وذخرها عند الله. فضعها ! يا رسول الله، حيث شئت. قال رسول الله ﷺ "بخ ! ذلك مال رابح. قد سمعت ما قلت فيها. وإني أرى أن تجعلها في الأقربين" فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[1].

جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"[2]

هذه النصوص تشير بوضوح وجلاء أن أول دائرة يقدم لها الداعية وكل ساع في عمل الخير – الخير المادي والمعنوي: الوالدان والأقربون، ثم من وليهم بعد ذلك من المساكين وأبناء السبيل وعموم المسلمين، فأعظم النفع نفع النفس ثم الأقربين، ثم تتسع الدائرة حسب المسئولية لتشمل مسئولية الداعية عن المجتمع كله،

فخير الصدقة ما كان للأقربين، وهي حينئذ صدقة وصلة كما في الحديث، ومن الصدقات أن يضع الرجل اللقمة في فيِّ امرأته، وأفضل دينار دينار أنفقه الرجل على أهله،إلى غير ذلك من التوجيهات الإسلامية للبذل وسط الدائرة الاجتماعية الأولى للداعية وهي أهله والأقربون له، والفائدة من ذلك أن يكون للداعية على الأقل من يثق بدعوته، وليس أولى بهذه الثقة من أهله الذين عرفوه عن كثب، حينئذ يستطيع الداعية أن ينجح خارج دائرة أهله يوم أن يكون لسان حال أهله قائلا للناس: صدقوه وأقبلوا على دعوته فقد رأينا خيره، وصدَّق ما يقول بعمله.

---

[1] – البخاري ك/ الزكاة ب/ الزكاة على الأقارب، ومسلم ك/ الزكاة ب/ النفقة والصدقة على الأقربين والزوج.

[2] – رواه الترمذي ك/ المناقب بفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. ابن ماجه ك/ النكاح ب / حسن معاشرة النساء.

ثم إن هذا هو السُلَّم الشرعي الذي ينبغي الالتزام به والسير وفق درجاته المقررة شرعا يقول العز بن عبد السلام: "ويقدم بر الأبرار على بر الفجار وبر الأقارب على بر الأجانب وبر الجيران على بر الأباعد وبر الآباء والأمهات والبنين والبنات على غيرهم من سائر القرابات وبر الضعفاء على بر الأقوياء وبر العلماء على بر الجهال"[1].

ومن هنا لابد للداعية والأغنياء وكل ساع في العمل الاجتماعي أن يتبع هذه القاعدة في عمله الاجتماعي، أن يبدأ بأهله ومن يعول، دون أن يكون ذلك مثار شبهة حوله أو حول تصرفاته الاجتماعية.

٤- نظافة اليد والعفة عن المال العام

الداعية يضحي لا يستفيد، ويبذل ولا يأخذ، وأول ما يتورع عنه الداعية المال العام، الذي من صوره ذلك المال الذي يرصده أهله لعمل الخير، وخدمة المجتمع، والقائم بالعمل الاجتماعي من الدعاة وغيرهم لا بد وأن يكون محل ثقة الناس جميعا، فالعيون تنظر إليه وترقبه، والمغرضون من أصحاب النفوس الضعيفة يودون لو سقط هؤلاء أي سقطة فيقيمون الدنيا من أجلها ليشوهوا صورة الدعوة والداعية والقائمين على عمل الخير، فحفاظا على مكانة الدعوة بين الجمهور لا بد وأن يحافظ الداعية على نفسه، فينأى بنفسه عن كل شبهة، ويستغني بما أعطاه الله تعالى عن النظر أو الطمع فيما من شأنه أن يسقطه ويسقط خطابه من قلوب الناس، وهذا لا شك يحدث -لا قدر الله - تأخرا في نجاحات الدعوة وتقدمها.

٥- الحذر من فتنة النساء

[1] - - الفوائد في اختصار القواعد المسمى بالقواعد الصغرى ص ٧٥

يقول النبي ﷺ: "ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء"[1]، يتعرض القائمون بالعمل الاجتماعي للاحتكاك بجميع شرائح المجتمع، ومن بينها الشريحة النسائية ما بين أرامل ومطلقات وغير ذلك ممن قدر الله تعالى عليهم نوعا من البلاء الدنيوي، والإسلام لا يمنع التعامل مع النساء مطلقا لكنه يصوغ ضوابط تحفظ الحرمات، وتصون الأخلاق، نظرا لخطورة هذه الفتنة على الجنسين، فنجد القرآن يحذر من فتنة النساء وكذلك السنة المطهرة كما هو ظاهر الحديث السابق، وفي هذا الباب يمنع النبي ﷺ الدخول على النساء غير ذوات المحارم، أو الخلوة بهنَّ، ويمنع الإسلام كل المقدمات التي من شأنها أن تفضي إلى الفاحشة والفتنة بالنساء،من هذه الأحاديث:

قوله ﷺ: "إياكم والدخول على النساء"[2]

وحديث مسلم قال فيه رحمه الله: "حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرٌو ح و حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جُبَيْرٍ حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ حَدَّثَهُ أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ دَخَلُوا عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهِيَ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ فَرَآهُمْ فَكَرِهَ ذَلِكَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَمْ أَرَ إِلَّا خَيْرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَرَّأَهَا مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ لَا يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا عَلَى مُغِيبَةٍ إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوْ اثْنَانِ"[3]

---

[1] – رواه الطبراني في الأوسط رقم (٥٦٨).

[2] – رواه البخاري ك/ الجهاد والسير ب/ باب: من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة، وكان له عذر، هل يؤذن له ،ومسلم ك/ الحج ب / باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره وغيرهم.

[3] – رواه مسلم ك / السلام ب/ تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها.

"وقوله ﷺ: "لا يحل لرجل يؤمن بالله أن يخلو بامرأة ليست ذات محرم إلا ومعها ذو محرم"[1] وعليه فإن المسلم يتحوط لنفسه حتى لا يقع في المحظور باستدراج الشيطان له، أو بعاطفة ساذجة تجعله يخالف الأوامر الإلهية فيفعل المنكر وهو يريد أن يفعل المعروف، والمسلم يخلف إخوانه في أهليهم بخير أحياء كانوا أو أمواتا، وقد قرأت حديثا عظيما يمكن القياس عليه وإن لم يكن القياس من كل الوجوه،يقول ﷺ : "حرمة نساء المجاهدين على القاعدين، كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله إلاَّ نصب له يوم القيامة فقيل له: هذا قد خلفك في أهلك فخذ من حسناته ما شئت" فالتفت إلينا رسول اللّه ﷺ فقال: "ماظنكم؟"[2]. والحديث وإن ورد في حق زوجات المجاهدين، لكن يؤخذ منه ولو إشارة كل من يخلف رجلا في أهله حيا أو ميتا والله أعلم.

والمسلم الذي مات وترك أهله ينبغي أن تراعى تلك الزوجة وتخلف بخير، فالقاعدة هنا أن لا يقع العاملون في هذا الجانب الاجتماعي الخير في محظور أملاه كثرة الاحتكاك والمباشرة، ولذا فإنني أفضل أن لا يعمل في خدمة الأسر التي تخلو من المحارم إلا النساء، وإن عمل في هذا المجال رجال فلينضبطوا بضوابط الإسلام التي ذكرنا آنفا،وليشدد في هذا الباب ما لا يشدد في غيره.

٦- مراعاة الأولويات في العمل الاجتماعي

يؤكد العاملون في العمل الاجتماعي الخيري التطوعي أو الوظيفي أن هناك ظاهرة سلبية لدي أهل الخير من المسلمين والذين يتبرعون بأموالهم،فكثير منهم أو معظمهم يتجه بماله نحو جهة واحدة هي في الغالب بناء المساجد، والبعض يتوجه لرعاية الأيتام أو

---

[1] – أخرجه عبد الرزاق (١٣٨/٧، رقم ١٢٥٤٤).

[2] – الحديث رواه أبو داود كتاب /الجهاد – باب في حرمة نساء المجاهدين على القاعدين.

المرضى، ويهمل أغلب هؤلاء المتبرعين جوانب في غاية الأهمية في حياة المسلمين اليوم، وهذا خلل واضح في ثقافة الأمة في فقه الأولويات عامة وفي ثقافة العمل الاجتماعي خاصة.

ونقول: من أراد من أهل الخير مجرد الثواب فأبوابه كثيرة لا تحصى، ولكن كما يقول أبو حامد الغزالي: "إن من جملة الشرور ترك ترتيب الخيرات" وإن أردنا زيادة بيان في هذه القاعدة فإننا نقول: كثيرة هي تلك الأبواب التي من الممكن أن يحصِّل المسلم منها الثواب والأجر، ولكن للخير فلسفته وقواعده في الإسلام التي يجب مراعاتها من هذه القواعد:

١- مراعاة واجب الوقت، فما حان وقته من الخير مقدم على ما لم يحن وقته.

٢- مراعاة تقديم ما هو فرض من أعمال البر على ما دونه.

٣- مراعاة الأكثر نفعا على الأقل نفعا.

٤- مراعاة الأدوم زمنا على المنقطع.

٥- مراعاة ما فيه مصلحة الجماعة على المصلحة الفردية.

٦- مراعاة الخير المتعدي على النفع القاصر.

هذه جملة من القواعد الشرعية المستقرأة من النصوص، التي ينبغي شرعا مراعاتها في عمل الخير عامة وفي العمل الاجتماعي خاصة.

وهذه جملة من أقوال العلماء في هذا الجانب

يقول العز بن عبد السلام – رحمه الله –: "فصل في تفاوت رتب المصالح والمفاسد": تنقسم المصالح إلى الحسن والأحسن والفاضل والأفضل كما تنقسم المفاسد إلى القبيح والأقبح والرذيلة والأرذل ولكل واحد منها رتب عاليات ودانيات ومتوسطات

متساويات وغير متساويات"[1] ويقول: "إذا اجتمعت مصالح أخروية فإن أمكن تحصيلها حصلناها، وإن تعذر تحصيلها فإن تساوت تخيرنا بينها، وقد يقرع فيما نقدم منها وإن تفاوتت قدمنا الأصلح فالأصلح ولا نبالي بفوات الصالح ولا يخرج بتفويته عن كونه صالحا"[2] ويقول: "وكل مصلحتين إحداهما راجحة على الأخرى لا يمكن الجمع بينهما تعين أرجحهما"

ويقول: تحت عنوان" "فصل في انقسام المصالح إلى الفاضل والأفضل":

"فضائل الأعمال مبنية على فضائل مصالحها والأمر بأعلاها كالأمر بأدناها في حده وحقيقته وإنما تختلف رتب الفضائل باختلاف رتب مصالحها في الفضل والشرف،وتترتب فضائل الأجور على فضائل الأعمال المرتبة على مصالحها في أنفسها أو فيما رتب عليها وإذا شككت في فضل عمل أو في مرتبة عمل فاعرض مصلحته على رتب مصالح الفضائل فأيها ساوته ألحق به"[3]

ويقول: "وإذا اتحد نوع الإساءة والإحسان كان عامهما أعظم من خاصهما فليس من أصلح بين جماعة كمن أصلح بين اثنين وليس من أفسد بين جماعة كمن أفسد بين اثنين وليس من تصدق على جماعة أو علم جماعة أو ستر جماعة أو أنقذ جماعة من الهلاك كمن اقتصر على واحد اثنين"[4]

---

[1] – الفوائد في اختصار القواعد المسمى بالقواعد الصغرى ص ٤١.

[2] – السابق ص ٤٩ فصل في اجتماع المصالح.

[3] – السابق ٧١.

[4] السابق ٩.

ويقول: "وكلما عظمت المصلحة تأكد الأمر بها بالوعد والمدح والثناء إلى أن تنتهي المصلحة إلى أعظم المصالح وعلى ذلك تبنى فضائل الأعمال"[1]

ويقول القرضاوي: "فمن المتدينين من يحج الحجة الخامسة أو العاشرة أو العشرين وربما الأربعين، ويعتمر كل عام في شهر رمضان، وينفق ألوف الجنيهات أو الدنانير أو الريالات، وهناك مسلمون يموتون من الجوع- حقيقة لا مجازا – في بعض الأقطار كالصومال، وآخرون يتعرضون للإبادة الجماعية، والتصفية الجسدية، كما رأينا في البوسنة والهرسك وفلسطين وكشمير وغيرها – وهم في حاجة إلى إي معونة من إخوانهم، لإطعام الجائع، وكسوة العاري، ومداواة المريض، وإيواء المشرد، وكفالة اليتيم، ورعاية الشيخ والأرملة والمعوق، أو لشراء السلاح الضروري للدفاع عن النفس.

وآخرون يتعرضون للغزو التنصيري، ولا يجدون مدرسة للتعليم، ولا مسجدا للصلاة، ولا دارا للرعاية، ولا مستوصفا للعلاج، ولا مركزا للدعوة، ولا كتابا للقراءة... على حين نجد سبعين في المائة من الحجاج كل عام ممن حجوا قبل ذلك، أي يحجون تطوعا، ينفقون مئات الملايين طيبة بها أنفسهم.

ولو فقهوا دينهم وعرفوا شيئا من فقه الأولويات:لقدموا إنقاذ إخوانهم المسلمين على استمتاعهم الروحي بالحج والعمرة، ولو تدبروا لعلموا أن الاستمتاع بإنقاذ المسلمين أعمق وأعظم من استمتاع عارض قد يشوبه بعض التظاهر أو الرياء وصاحبه لا يشعر"[2]

٧- تفعيل الجمهور

---

[1] – السابق نفس الصفحة.

[2] – في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة د/ يوسف القرضاوي ص ١١٧- ١١٨ ط رابعة ٢...م – مكتبة وهبة –القاهرة.

ينبغي على الدعاة والمنشغلين بالعمل الاجتماعي أن يهتموا بتحريك الجماهير وتفعيلهم في هذا المضمار وذلك بطريقتين:

الأولى: طريقة الحض والتذكير.

الثانية: طريقة التوظيف والتجنيد.

أما الأولى: فهي طريقة الإسلام الحنيف، فقد حث الناس على بذل المعروف، وفعل الخير، كما بينا قبل في التأصيل الشرعي للعمل الاجتماعي. وننبه هنا إلى أن الحث يكون للقادرين ماديا أو علميا أو لذوي المناصب أن يبذلوا مما أوتوا، وأن يجعلوا جزءا مما آتاهم الله في خدمة أمتهم وإخوانهم، ليحوزوا الأجر، ويفوزا بالرضوان من رب العالمين.

ويكون الحث لغير القادرين ماديا بأن يوظفوا أوقاتهم أو أفكارهم أو طاقتهم البدنية في فعل الخير بالتعاون مع العاملين، فلا يقتصر الحث هنا أو الحض على أصحاب القدرات المادية فقط بل الحث للأمة جميعا للمشاركة في عمل الخير كل بما آتاه الله، بل الأمثل أن يحث حتى الفقير على التبرع المادي ولو بأقل القليل ورب درهم سبق مائة درهم، ولا شك أننا ينبغي علينا لإشاعة خلق العمل الاجتماعي أن نحوله من عمل وثقافة نخبة إلى توجه شعبي عام تكون للأمة بكل أطيافها ومكوناتها بصمات فيه، وهذا يقتضي تفعيل الفقراء ليشاركوا بأقل القليل ليشعروا أنهم فاعلون في المجتمع وليست طبقة تتلقى المعونة من الآخرين.

وأما الطريقة الثانية: وهي التوظيف والتجنيد: كثير من الناس ذو طاقة هائلة، لكنه لا يعرف كيف يوظفها، وأهل الخير والصلاح إن لم يوظفوا تلك الطاقات استغلها أهل الشر والفساد فوظفوها في غير صالح الأمة، ومن هنا يأتي دور التوظيف وعدم الوقوف بالجمهور عند حد التحميس والإثارة نحو الخير، وهذا ما كان بفعله المربي الأول صلى الله عليه،

فعن جرير قال:"كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** ﴾ إلى آخر الآية ﴿ **إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ والآية التي في الحشر ﴿ **اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾ تصدق رجل من دينارہ من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة، قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت. قال : ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة. فقال رسول الله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء "[1]

فهذا نموذج عملي من فعله ﷺ في الحث والتوظيف معا، فلابد من تنظيم وتوظيف وتجنيد الفريقين صاحب القدرة المادية، وصاحب القدرة البدنية والفكرية بحيث توظف الطاقات كلها في عمل الخير وتنظم بحيث يخرج العمل موجها هادفا خاليا من الارتجال والعشوائية.

فكل عمل عظيم لابد له من نظام يشمل هدفا وخطة وجنودا وقائدا، وليس أعظم من إنقاذ أمة والنهوض بها في هذا الجانب.

---

[1] – متفق عليه.رواه البخاري ك/ الاعتصام بالكتاب والسنة ب/ باب اثم من دعا الى ضلالة أو سن سنة سيئة لقوله تعالى ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم رواه مسلم ك/ الزكاة ب/ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار وفي ك/ العلم ب / باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

وسيكسب الأفراد عدة مكاسب روحية ومعلوماتية وتعاون وخبرات فضلا عن تصريف هذه الطاقات في الخير وتوجيهها للبناء، بدلا من أن تأكلها أوقات اللهو والمعصية، وبهذا يشعر المسلم أنه صاحب رسالة،وأن له دورا في نهضة مجتمعه فضلا عما ينميه هذا العمل في نفسه من حب للخير، وحب لإخوانه، وانتماء وولاء لمجتمعه.

وليعلم الدعاة وأهل الخير أن الأمة بها خير كثير، وأن الكثيرين على استعدا تام للخير، إذا وجدوا من يحسن توجيههم، وتوظيف طاقاتهم بصورة جماعية منظمة، بدليل أن هذه الكثرة تتوجه نحو الراية التي رفعت للشر لمَّا لم تجد راية للخير، فالقضية كلها أن ترفع راية للخير يلتف الناس حولها وينضوون تحت لوائها، ويجدون فيها متنفسهم لعمل الخير وخدمة المجتمع.

٨- العمل بصورة جماعية ومؤسسية وقانونية

إن مما يفتقده العمل الخيري المعاصر روح الجماعية التي يتم من خلالها التعاون والتنسيق ودراسة الاحتياجات الواقعية للأمة من خلال منهج الأولويات المذكور آنفا، ومن هنا ينشأ التكرار وربما العشوائية وربما التنافس غير المحمود بين بعض الجهات والمؤسسات، والمؤسسية هي الصورة الجامعة والمحققة لروح الجماعية في العمل الخيري، فمن خلالها تتم الشورى ويحصل التنسيق وتتحقق الاستمرارية في العمل الخيري الاجتماعي، وينبغي في كل ذلك أن يكون العمل بهذا الشكل متوافقا مع القوانين المعمول بها، حتى تبرأ ساحة العاملين في العمل الاجتماعي من التشكيك أو الاتهامات خاصة في هذا العصر التي تحارب القوى العالمية فيه المؤسسات الخيرية الإسلامية بحجة مقاومة الإرهاب وما إلى ذلك، فقانونية العمل تضمن له بإذن الله الاستمرار والحماية والبراءة من التهم والشبهات.

٩- البعد عن المن والأذى

هذا واجب شرعي وقاعدة إيمانية لكل من يقدم لغيره إحسانا يقول الله تعالى: ﴿**قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[1]

وترك المن والأذى فيه فوائد منها:

الامتثال لأمر الله تعالى الوارد في نصوص الوحي، ومنها كون الإحسان أقرب إلى القبول عند الله تعالى، ومنها الحفاظ على كرامة من قدم الإحسان إليه، ومنها حب الناس للخير ولأصحابه وخاصة إذا كانوا أصحاب دعوة فإن ذلك يقربهم من الدعوة.

فينبغي على العاملين في مجال العمل الاجتماعي أن ينأوا بأنفسهم عن هذه الآفة التي تبطل العمل وتنفر الناس.

تلك هي جملة ضوابط ضرورية في العمل الاجتماعي والله تعالى أعلم.

---

[1] – البقرة آية ٢٦٤-٢٦٥.

المبحث السادس

فوائد وآثار العمل الجماعي في نشر الدعوة وتنمية المجتمع

١- تكوين رموز إسلامية من أهل الخير والصلاح يلتف المجتمع حولها

من فلسفة الإصلاح الإسلامي ضرورة صنع ما يمكن أن نسميه"الرمز"، أو "النموذج"، فالناس في حاجة دائمة إلى الالتفات حول قدوة يثقون فيه ويلتفون حوله، ومن هنا كانت القدوة النبوية التي ترجمت المبادئ الإسلامية والقيم الإيمانية في صورة عملية، وأمرت الأمة بالالتفات حول محمد ﷺ حيا وميتا، فهو النموذج والمثل الأعلى، قال تعالى: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾[١] ثم كان الأمر النبوي بالاقتداء بالأصحاب الكرام رضي الله عنهم أجمعين – خاصة الخلفاء الراشدين -: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي..."[٢] ولا تزال الأمة عبر تاريخها المديد تبرز فيها القيادات الفكرية والجهادية والخيرية الاجتماعية التي تحفظ عليها قيمها وتوازنها، ضربت بها الأمثال والتفت حولها الجماهير، ولا يزال أهل الباطل يشوهون تلك الرموز التي من شأن وجودها تعطيل مشروعات الباطل وخططه، والأمة اليوم في مرحلتها الراهنة يراد لرموزها الطيبة الخيِّرة أن تختفي، ويظهر في سمائها من لا خلاق لهم ولا وزن، وهذا لا شك أمر من شأنه أن يؤخر مسيرة الخير والإصلاح، ومن هنا نقول: إن العمل الاجتماعي الخيري يبرز رموزا إسلامية

---

[١] – سورة الأحزاب آية (٢١).

[٢] – رواه الترمذي ك/ العلم ب / ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع.وابن ماجه ك/ المقدمة ب /إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ورواه أحمد والدارمي وغيرهم.

من أهل الخير من خلال دورها الفعال داخل المجتمع الإسلامي، وهذه الرموز يجد الناس معها الطمأنينة والثقة، يلجئون إليها في الملمات،ويلتفون حولها فتحركهم هذه الرموز نحو الخير وفي عمل الخير، بدلا من التفافهم حول رموز لا تعرف إلا مآربها، ولا تعمل إلا لنفسها.

٢- تشغيل الطاقات المعطلة في الأمة

الجماهير المسلمة اليوم جماهير كثيفة العدد ولكنها معطلة الطاقات، فهي جماهير ذات طاقات وإمكانيات مادية وعلمية وبدنية، ومع توفر هذه الطاقات والغنى بكثير من الإمكانيات والمواهب، إلا أنها تفتقد ثلاثة أمور:

الأول: الفهم الصحيح الذي يرشِّد هذه الطاقات، ويعلم الجماهير واجباتها الدينية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها وفق منظومة الأولويات الإسلامية.

الثاني: الخطط والبرامج العملية التي تستوعب تلك الطاقات، وتوظفها بطريقة دائمة آمنة، وتحقق لها رغباتها الروحية وأهدافها الخيرية والإصلاحية داخل المجتمع.

الثالث: القيادات الاجتماعية الراشدة التي تجمع الناس حولها من علماء ومصلحين وكبار داخل مجتمعاتهم الصغيرة وصولا إلى المجتمعات الكبيرة.

وفي تقديري أنه لو توفرت للأمة هذه الأمور الثلاثة لتجمعت الجماهير على فهم واحد، وخطة واحدة ذات هدف واحد، تحت قيادات موثوق بها ولو على المستويات المحلية داخل الأحياء والقرى والتجمعات الصغيرة، حينئذ تجد تلك الجماهير بغيتها حين تجد آفاق العمل الاجتماعي واضحة أمامها، فصاحب المال يجد أبواب ومصارف الخير الرشيدة أمامه، فينفق ماله وفق خطة مدروسة وهدف واضح، وليس لمجرد الإنفاق، وصاحب العلم يبذل من علمه وإمكانياته العلمية والفكرية في التوجيه والإرشاد ما يحرك

الجماهير، وصاحب القوة البدنية يتحرك بقوة بدنه منفذا وباذلا من وقته وجهده في هذا السبيل، وصاحب الحرفة يسهم بحرفته، وذو الجاه والمنصب يتحرك في الخير بجاهه وشفاعته، والشاب العاطل عن العمل الذي ينفق وقته هدرا لا يجد بابا هادفا يبذل فيه يجد منشطا في الخير يحجبه عن الشر ويشعر فيه بذاته وبدوره في خدمة مجتمعه وأمته، وهكذا يتحرك المجتمع كله يبذل طاقاته ويوظف إمكانياته كل في خدمة الآخر، هنا تمنع الطاقات أن تهدر، والأموال أن تنفق في غير سبيلها، والأوقات أن تضيع سدى.

فالواجب على الدعاة وأولي الأمر في الأمة أن يقوموا بهذا الدور ليشغلوا تلك الطاقات المعطلة، بل المسخرة ربما في طريق الشر والتخريب، وهذا لا شك نهوض بالقاعدة العريضة من الناس، وتحريك لها نحو الخير وقديما قالوا "إن المعسكر التي تسوده البطالة يجيد المشاغبات" وقالوا أيضا "نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل"

٣- تأكيد عظمة وصلاحية الإسلام وأنه حل لمشكلات الناس

إن العمل الاجتماعي يمثل جانبا عمليا هاما في الحياة الإسلامية، تتمثل فيه روح الإخاء الإسلامي بكل معانيها الربانية والإنسانية معا،وعندما ينادي المصلحون بأن المخرج مما فيه الأمة اليوم هو الإسلام فلابد أن يظهروا ذلك عمليا في واقع الناس، في وقت تقدمت فيه أحزاب قومية واشتراكية وشيوعية لا دينية وعير ذلك من التيارات التي توجهت إلى الشرق أو الغرب ولم تتوجه إلى الإسلام، كل ذلك يحاول أن يجذب الناس ببعض الأعمال والخدمات ليكسب أصواتهم وتأييدهم وصولا إلى مآرب شخصية، ومكاسب مادية، فلابد لجموع الدعاة أن يتوجهوا للناس بخطاب عملي تبرز فيه الخدمات والأعمال الاجتماعية ليعلم الناس أن دينهم فيه الحلول لما هم فيه من شقاء وتعاسة وبأس، فيدركوا من ذلك عظمة الإسلام وتفاهة ما سواه، ويلتفوا حول العلماء وأهل الإصلاح بدلا من التفافهم حول أفكار ومبادئ وشعارات براقة لكنها خادعة لا حقيقة لها، ولقد جربت الأمة

جميع الأفكار القومية والوطنية والاشتراكية وغيرها فما زادت نارها إلا اشتعالا، ولا حالها إلا شقاء، فمن أبرز فوائد العمل الاجتماعي أن يقتنع الناس عمليا بعظمة الدين وصلاحيته الدائمة لكل زمان ومكان وأنه هو الحل والمخرج الوحيد لما هم فيه: ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾[1]

٤- صقل وتنمية الأفراد

الإنسان فيه طاقات وإمكانيات هائلة، وهو في حاجة إلى خبرات مختلفة يسيِّر بها شئونه، ويتحرك بها في حياته، ويحقق بها دوره، وعمل الخير في جانبه الاجتماعي واسع الميدان،متعدد الجوانب يعطي للقائمين به خبرة واسعة فتنمو طاقاتهم وتزداد خبراتهم، وتصقل مواهبهم، بدل أن يعيش الإنسان كلاً، لا يحسن شيئا.

٥- تحقيق معاني الإيمان عملياً وتلبية الأشواق الروحية للمسلم

فالقيام بالعمل الاجتماعي مظهر عملي لتحقيق المعاني الإيمانية كالرحمة بالخلق والشفقة عليهم، ومعنى الأخوة بين الناس، ومعنى الجسد الواحد، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به"[2]، فيجعل الرسول ﷺ من شبع وجاره بجواره جائع وهو يعلم غير متحقق بمعاني الإيمان الكاملة، فتحقيق معاني الإيمان تقتضي سعيا في مصالح الخلق فعن ابن عمر أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال رسول الله ﷺ: أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه

---

[1] - المائدة –آية (٥٠).

[2] - رواه الطبراني في الكبير برقم(١/٧٥١).

دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهرا ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام"[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله " وأحسبه قال: "وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر"[2] والنصوص كثيرة في هذا الباب وكلها تتكاتف لتؤكد للأمة أن عمل الخير وخاصة الاجتماعي العام هم من معاني الإيمان الأساسية.

كما أن حب الخير مركوز في طبيعة الإنسان وهو أحد مطالبه وأشواقه الروحية وعندما يتعطل عن فعل الخير تذبل تلك الأشواق فيشعر المرء بنوع شقاء وقلق، وعندما يتحرك في خدمة الآخرين وتقديم الخير لهم يحقق جانبا كبيرا من أشواقه الروحية التي لا يتحقق استقرار القلب والنفس إلا بتحصيلها.

٦- التخفيف عن الناس بقضاء مصالحهم والقيام بما يهمهم

إن العمل الخيري الاجتماعي من أعظم فوائده التخفيف عن الناس وذلك بتبني همومهم، وقضاء ما عجزوا عن قضائه، والاهتمام بما يهتمون به، والناس في حاجة إلى من يحمل همومهم ويخفف آلامهم وعمل الخير كفيل بهذا كله وفي هذا الأجر الجزيل من الله تعالى ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: " من نفس عن مؤمن كربة من كرب

---

[1] - رواه الطبراني في الكبير ١٢/ ١٣٦٤٦.

[2] - رواه البخاري ك/ الأدب -باب الساعي على المسكين.ومسلم ك/ الزهد -ب/ الإحسان إلى الأرملة والمسكين.

الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عـــــــــــــــــــــــــــــــــــون أخيـــــــــــــــــــــــــــــــــــه"[1]

وفي هذا العصر الذي كثرت فيه هموم الناس،وانشغل كل واحد بنفسه وذويه وقلَّ الذين يعملون للآخرين ينبغي في مثل هذه الظروف إحياء العمل الخدمي الخيري الذي يُبقي الخير في هذه الأمة، ويستبقي الأمل في نفوس أبنائها متى وجدوا راية الخير مرفوعة.

٧- زيادة وتقوية انتماء الأفراد وولائهم لدينهم ومجتمعهم

يترتب على ما سبق أن العمل الخيري يحقق للأفراد شعورا قويا بالولاء للدين،والانتماء للوطن، والحب للمجتمع، وهذا لا شك كسب كبير يدفع في اتجاه رقي المجتمع وتنميته، ومن أهم ما يحرص عليه الإسلام أن يتحقق في داخل المسلم إحساس صادق بحب الوطن والدين، وانتماء حقيقي لهما يمنعانه من الغدر بهما أو المساومة عليهما، فالعمل الاجتماعي المنطلق من المبادئ والقيم الإيمانية، والمشاعر الإنسانية والذي يحقق للناس كفايتهم المادية، ويخفف عنهم أعباءهم الحياتية لا شك أنه يخلق هذا الشعور السابق في النفوس.

٨- رعاية الطبقات الكادحة وهي أهم رصيد للدعوة

إن العامة الذي طال إهمالهم من قبل كثير من الأنظمة هم في نظر الدعاة رصيد للدعوة لا ينفد، وعليهم معول كبير في كثير من القضايا العامة، فهم "المادة الخام للداعية التي يعمل من خلالها، وجهوده منصبه لأجل نفع هذه الطبقة، لذا كانت الحاجة ماسة إلى في القاعدة الشعبية للدعوة، لأن هذا فيه مصلحة لها، فبالصفوة وحدها لا تقوم الأمة

---

[1] - رواه أبو داود في سننه ك / الأدب —ب/ في المعونة للمسلم رقم (٤٩٤٦). ورواه غيره.

الإسلامية، وإن لم تكن الدعوة إلى الله ونشر الخير بين العامة، فمن تكون بينهم"[1].إن هذه الطبقات التي تمثل الجمهور العريض من المسلمين لهي حتى الآن بعيدة عن أذهان المصلحين والدعاة، لم تأخذ نصيبها من خططهم وعنايتهم، مع أنها الطبقة التي يستغلها أهل الباطل في تأييد باطلهم من خلال شعارات يطلقونها – مثلا – في حملاتهم الانتخابية، فإذا كسبوا الأصوات تنصلوا من الوعود، وتناسوا الشعارات والضحية في ذلك كله هي تلك الطبقة الكثيفة العدد، الكثيرة الاحتياجات، القريبة جدا من الهداية لو وجدت من يحسن قيادتها، ويدبر أمورها ويحركها في الخير وإلى الخير، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد التف حوله الضعفاء والمستضعفون، وقامت الدعوة على أيديهم، وكذلك نوح عليه السلام، وسائر أنبياء الله المرسلين عليهم صلوات الله وتسليماته.

٩– مساعدة الدولة في القيام بواجباتها

من المسلم به الآن أن الحكومات بكل إمكانياتها لم تعد قادرة وحدها على سد كل احتياجات الفرد والمجتمع، وهذا واقع له أسباب ليس هنا محل تفصيلها، وأقول: إن ذلك على السواء في الدول المتقدمة والنامية مع الفارق بينهما في ذلك، فطبيعة حياة اليوم بكل تعقيداتها واحتياجاتها تحتاج إلى تفعيل مؤسسات أخرى غير حكومية، وجهات شعبية وجهود فردية وجماعية للقيام بسد حاجات المجتمع، ولابد أن تكون هذه الجهود مكملة لدور الدولة لا متعارضة معها، وقد شهدنا كيف تقدمت كثير من مؤسسات المجتمع المدني وغيرها من الجمعيات الخيرية والجماعات الإسلامية، وأهل الخير كأفراد ومجموعات بمشروعات وأعمال اجتماعية ربما فاقت بها حركة الدولة وجهودها، سواء أكان ذلك في أوقات النوازل والنكبات أم في أوقات الرخاء والاستقرار، ومن هنا نقول: إن

---

[1] – ملف العمل الاجتماعي فضاء جديد منشور بموقع مؤسسة الإسلام اليوم بإشراف د/ سلمان العودة.

من فوائد العمل الاجتماعي أن يساعد الدولة في أداء مهمتها الاجتماعية بدور مواز لأعمال وجهود الدولة.

١٠- تحقيق إيجابية المجتمع وإعادة القيم الإسلامية إليه

المجتمع الذي يعمل ينجح وينبت فيه الخير، أما المجتمعات السلبية التي تريد أن تكون عالة على غيرها في قوتها وكافة احتياجاتها مجتمعات مهزومة لا بقاء لها ولا كرامة، والحركة في عمل الخير وخدمة المجتمع و تنميته، والشعور بالآخرين والسعي لتحقيق شيء ما لهم لا شك أنه نوع من الإيجابية الاجتماعية التي تحتاجها الأمة في يومنا هذا، فالدعاة لابد وأن يحركوا همم الجماهير نحو واجباتهم ويحثونهم عليها، لتزول السلبية وليكون مجتمعا فاعلا يعطي ولا يأخذ، واليد اليد العليا خير من اليد السفلى.

وهذه كلها من القيم الإسلامية "التي ترسم للإنسان أنواع السلوك في تعامله مع ربه سبحانه وتعالى وكذلك تعامله مع نفسه ومع الناس، بل مع الحيوان والجماد وكل الأشياء، والالتزام بهذه القيم يسهم في تكوين الرأي العام الذي ينتشر في المجتمع ويؤثر في قضاياه".

١١- حماية المجتمع الإسلامي من الاستغلال الخارجي

تكلمنا فيما سبق عن أثر العمل الاجتماعي في تحقيق نجاحات في العمل التنصيري، وكيف أنهم يستغلون المثلث الخطير (الفقر – الجهل – والمرض) في أغراضهم الخبيثة، وتحت وطأة الحاجة يستغلون الجماهير، وعلى المستوى السياسي تعيش بعض الدول الإسلامية تحت رحمة المعونات الخارجية، تلك المعونات التي لا تساوي شيئا من نسبة التهرب الضريبي للكبار من المسلمين كما يقول علماء الاقتصاد، فكيف لو دفعت هذه الضرائب، واستغنت بها الحكومات عن تلك المعونات المذلة؟، وكيف لو تقدم الأغنياء بزكواتهم وفضول أموالهم لمجتمعهم المسلم، لو حصل ذلك لاستغنى الفقراء،

وتعلم الجهال، وتداوى المرضى، ونجت الأمة من استغلال المنصرين، وسيطرة السياسيين المستعمرين

ويمكن إضافة جملة فوائد وثمرات للعمل الاجتماعي نذكرها دون تفصيل فيما يلي:

- الجزاء الأخروي الذي وعد اللَّه سبحانه وتعالى الذين يسارعون في الخيرات.
- مصدر للرضا النفسي لدى الشخص القائم به بمقدار ما يحصل هو نفسه على المنفعة الناتجة عن هذا العمل.
- يرفع العمل الاجتماعي مستوى الدافعية للعمل ويزيد من حماسة المتطوع كلما رأى الآثار الإيجابية والتطور الملحوظ لدى من يتطوع للعمل من أجلهم .
- يخفف العمل الاجتماعي الخيري لدى المتطوع نفسه من النظرة العدائية أو التشاؤمية تجاه الآخرين والحياة ويمده بإحساس وشعور قوي بالأمل والتفاؤل.
- كما أن العمل في هذا المجال يهذب الشخصيَّة ويرفع عنها عقلية الشح ويحولها إلى عقلية العطاء والبذل قال تعالى: ﴿ **ومن يوقَ شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾
- كما يحد من النزوع إلى الفردية وينمي الحس الاجتماعي لدى الفرد المتطوع
- العمل التطوعي يزيد من قدرة الإنسان على التفاعل والتواصل مع الآخرين.
- ويساهم في جعل المجتمع أكثر اطمئناناً وأكثر ثقة بأبنائه
- يخفف من الشعور باليأس والإحباط.
- يحد من النزعة المادية لدى أفراده.

- ويجعل القيمة الأساسية في التواصل والإنتاج والرضا الذاتي المتصل برضا اللَّه سبحانه وتعالى.
- كما أن التطوع لخدمة الآخرين يتيح للإنسان تعلم مهارات جديدة أو تحسين مهارات يمتلكها أصلاً.
- كذلك يتيح للإنسان التعرف عن كثب على مجتمعه والتَّماس مع قضاياه، والتعرف على أناس يختلفون عنه في السن والقدرات والخبرات مما يؤدي إلى تبادل هذه الخبرات.
- كما يساعد على إنشاء صداقات جديدة وتنمية الثقة بالنفس ويشعر الإنسان بقدرته على إحداث تغيير ما.
- يحقق زيادة انتماء الفرد والجماعة للمجتمع.
- تنمية القدرات والمهارات الشخصية والعلمية والعملية.
- يوفر الفرصة للمشاركة في تحديد الأولويات التي يحتاجها المجتمع، والمشاركة في اتخاذ القرارات.
- زيادة الثقة بالنفس، وتطوير القدرة على أداء الأعمال والتخطيط لها.
- يتيح الفرصة للتعبير عن الآراء والأفكار في القضايا العامة التي تهم المجتمع.
- التوعية باحتياجات المجتمع، والفئات التي تحتاج مساعدة فيه.
- يوفر الفرصة لتأدية الخدمات وحل المشاكل بالجهد الشخصي.
- يتيح للقائمين عليه التعرف على الثغرات التي تشوب نظام الخدمات في المجتمع .

- وبالجملة ففعل الخيرات مجال ثر بالفوائد والثمار على الدين والدعوة، والفرد والمجتمع، بل والبشرية جمعاء.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ملحق ختامي

مقترحات للدعاة والعاملين في مجال العمل الاجتماعي

في هذا الملحق الختامي أقدم بعض المقترحات كنماذج بين يدي الدعاة والعاملين في مجال العمل الاجتماعي:

١) القيام بتكوين:

- لجان للصلح بين الناس في الأحياء والقرى.
- لجان استشارية في الأمور الاجتماعية كالزواج والمشاكل الزوجية وتربية الأولاد ومشكلاتهم وغيرها، والمشاكل الشخصية.
- لجان للتفاهم والتنسيق بين الدعاة والعاملين للإسلام في كل منطقة أو حي.
- لجان لجمع الزكوات والصدقات وتوزيعا على المحتاجين.
- لجان لتيسير الحج والعمرة للراغبين وتعليمهم وتدريبهم على أحكامهما.
- لجان للأزمات الطارئة كحريق وهدم وحوادث سيارات وغير ذلك.

- لجان وصناديق لتيسير الزواج للجنسين خاصة الأرامل والعوانس والمطلقات واليتيمات.
- لجان للتوعية الصحية و البيئية.
- لجان إرشاد زراعي للفلاحين في القرى.
- لجان لمساعدة المحتاجين خاصة المرضى.
- لجان لتطوير المشروعات الخيرية القائمة واستحداث مشروعات خيرية جديدة.

٢) القيام بعمل مشروعات مثل:

- كفالة الأيتام.
- محو الأمية.
- تدريب العاطلين على بعض الحرف والمهن التي يمكن أن تكون نواة مشروعات خاصة لهم ولذويهم.
- مشروعات صحية مجانية كالتوعية الصحية والكشف المجاني نصف السنوي.
- مشروعات تجميل البيئة.
- مشروعات تقوية دراسية مجانية للأيتام و لأبناء الفقراء والمعدمين.
- مشروعات اقتصادية منزلية صغيرة تجارية وإنتاجية كالحياكة وتصنيع الحلوى والتريكو وغير ذلك.

بعض المقترحات لتطوير العمل التطوعي

١) قيام محاضن التربية المختلفة كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام وغيرها بتنشئة الصغار على معاني العمل الخيري وغرس المعاني الطيبة من مساعدة الغير والشفقة على المعوزين وأصحاب الحاجات وإذكاء معاني الإيثار والعمل الجماعي وتنمية المجتمع والإيجابية والاستمرار في ذلك.

٢) نشر ثقافة العمل الاجتماعي التطوعي ودعم الجانب العملي التطبيقي لهذا الجانب على كافة المستويات، وخاصة في المدارس والجامعات.

٣) دعم المؤسسات والجهات التي تعمل في مجال العمل التطوعي مادياً ومعنوياً بما يمكنها من تأدية رسالتها وزيادة خدماتها.

٤) رفع كفاءة العاملين في هذا المجال عن طريق التدريب وكل ما من شأنه التأهيل الجيد لهؤلاء ليقوا بالواجب بكفاءة ومهنية عالية.

٥) البدء في تنفيذ المشروعات الخيرية باحتياجات الجمهور العاجلة الأمر الذي يدفع الجمهور إلى المشاركة وتحقيق واجب الوقت لهم.

٦) دعم المجال الاجتماعي علميا بإنشاء مراكز بحوث متخصصة في العمل الاجتماعي تمد الهيئات الاجتماعية والعاملين فيها بالدراسات والأبحاث التي من شأنها الترقي بهذا العمل الهام.

٧) الاستفادة من كل التقنيات الحديثة كالقنوات الفضائية ومواقع الانترنت وغير ذلك في العمل الاجتماعي لضبط سيره والدقة والسهولة في حركته.

٨) استخدام العمل التطوعي في المعالجة النفسية والصحية والسلوكية لبعض المتعاطين للمخدرات والمدمنين أو العاطلين أو المنحرفين اجتماعياً.

٩) ضرورة التنسيق بين الجهات الحكومية والهيئات الخيرية العاملة في هذا المجال لضمان دوام السير والعطاء وعدم العرقلة وقد سبق بيان ضرورة مشروعية العمل الخيري من الناحية القانونية.

١٠) التقييم المستمر لمسيرة أداء العمل الاجتماعي والاستفادة من ذلك بدعم الإيجابيات وتلاشي السلبيات.

١١) الاستفادة من الآخرين بتبادل الخبرات بين الهيئات المختلفة العاملة في هذا المجال.

١٢) التخصص ونقصد به أن تتخصص الهيئات والمؤسسات الخيرية كل هيئة أو مؤسسة في مجال اجتماعي محدد تنتج فيه وتبدع وتطور.

هذا وأسأل الله تعالى لهذه السطور أن تكون فاتحة خير، وإضاءة مرشدة في مجال عمل الخير ونشر الدعوة والنهوض بالمجتمعات، لنخفف عن أمتنا كثيرا من آلامها ونحمل عنها بعضا من أبائها بتقديم النفع إليها باسم الإسلام الذي هو رحمة من الله للعالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الأطهار وصحبه الأبرا وسلم تسليما كثيرا،

والحمد لله أولا وآخراً.

أهم المراجع

- القرآن الكريم وكتب السنة المطهرة
- أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية /خادم حسين بخش – دار حراء – مكة – ط أولى ١٤٠٨ ١٩٧٧ م.
- إرشاد المجتمع فريضة شرعية وضرورة اجتماعية. أ / حسام حميدة. دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- الإسلام والأمن الاجتماعي د/ محمد عمارة – ط الأولى – دار الشروق– ١٩٩٨ م – القاهرة.
- أضواء على حركات الدعوة والإصلاح في العصر الحديث د/ أحمد محمد زايد– ط أولى ٢٠٠٣م – القاهرة.
- انظر قبسات من الرسول محجمد قطب – طبعة دار الشروق – القاهرة.
- أوراق من تاريخ الإخوان المسلمون " مرحلة التكوين استكمال البناء الداخلي جمعة أمين عبد العزيز – ط أولى ٢٠٠٥م –دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة.
- التبشير والاستعمار د/ عمر فروخ ط– لبنان– بدون.
- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير– ط أولى – دار العبيكان – السعودية – ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
- التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته د/ على بن إبراهيم النملة –
- التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء– عبد العزيز الكحلوت – طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي – تحقيق : عبد الرازق المهدي ط أولى –دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- جريدة الوطن السعودية بتاريخ ١٢/٢٣/ ٢٠٠٥ م
- الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري – ط أولى ١٩٩٩ م – مكتبة الرشد – السعودية.
- زاد المعاد من هدي خير العباد للإمام. تحقيق :مصطفى عبد القادر عطا – ط ثالثة – دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان– ١٤١٩هـ – ١٩٩٨هـ.
- فتح القدير تهذيب تفسير ابن كثير– للقاضي الشيخ : محمد أحمد كنعان ط أولى – . دار لبنان بيروت ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م
- الفوائد في اختصار القواعد المسمى بالقواعد الصغرى /للإمام العز بن عبد السلام.
- في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة د/ يوسف القرضاوي – ط رابعة – مكتبة وهبة –القاهرة.
- مجلة المجتمع الكويتية ٣ ربيع الآخر ١٤٢١هـ.
- مجموعة رسائل الشيخ حسن البنا – رسالة المؤتمر الخامس – ط دار الدعوة – القاهرة – بدون
- المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي دار ابن حزم.
- ملف العمل الاجتماعي فضاء جديد منشور بموقع مؤسسة الإسلام اليوم بإشراف د/ سلمان العودة.

- منهج التربية عند الإخوان المسلمين – ط أولى ١٩٩٩ م دار الوفاء – المنصورة – مصر.
- موقف الإسلام من تفضيل بعض الأولاد على بعض في الهبة د/ محمد إبراهيم الحفناوي – ط أولى دار الصحابة للتراث –طنطا – مصر –١٩٨٧م–.

المواقع الالكترونية على موقع شبكة المعلومات العالمية الإنترنت :

- موقع بوابة الوظائف السعودية بشبكة المعلومات العالمية الإنترنت http://www.jobs-gate.com
- موقع جريدة مصر العربية – شبكة المعلومات العالمية الإنترنت http://www.misralarabia.com
- موقع الجزيرة www..aljazeera.net/
- موقع "http://middle-east-online.com.
- موقع "www.balagh.com/.
- موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net

الفهرس

التمهيد..... ٢٣٠
المبحث الأول: العمل الاجتماعي مفهومه وتأصيله الشرعي ونماذج تاريخية منه.. ٢٣١
أولا: مفهوم العمل الاجتماعي ٢٣١
ثانيا: التأصيل الشرعي للعمل الاجتماعي..... ٢٣٢
ثالثا: نماذج من تاريخنا الإسلامي في العمل الاجتماعي..... ٢٤٥
المبحث الثاني: مفاهيم ينبغي أن تصحح في المجال الاجتماعي..... ٢٥٣
أولا: مفهوم المسئولية..... ٢٥٣
ثانيا:مفهوم الصدقة. ٢٥٣
ثالثا: مفهوم الجهاد..... ٢٥٣
أولا: مفهوم المسئولية..... ٢٥٣
ثانيا: مفهوم الصدقة: ٢٥٩
ثالثا: مفهوم الجهاد..... ٢٦٥
لم هذه الوقفة مع المفاهيم ؟ :..... ٢٦٩
المبحث الثالث: الواقع الاجتماعي والاقتصادي للأمة الإسلامية ٢٧١
أولا: البطالة وأثرها في الجانب الاجتماعي ٢٧١
ثانيا: واقع الأسرة في العالم الإسلامي:..... ٢٧٦
مدخلان في عرض الإسلام:..... ٢٧٩
المبحث الرابع: نماذج من العمل الاجتماعي المعاصر عند المسلمين وعند غيرهم٢٨١
أولا: نماذج من العمل الاجتماعي المعاصر عند المسلمين..... ٢٨١
ثالثا : نموذج العمل الاجتماعي المعاصر عند غير المسلمين..... ٢٨١

أولا: العمل الاجتماعي المعاصر عند المسلمين..... ٢٨١
ثالثا: العمل الاجتماعي المعاصر عند غير المسلمين ٢٩٣
المبحث الخامس: ضوابط ومحاذير في مجال العمل الاجتماعي..... ٣٠٤
١- الإخلاص لله تعالى وابتغاء مرضاته ٣٠٤
٢- ربط الجمهور بالدعوة لا بالأشخاص..... ٣٠٥
٣- البدء بالأهل والعشيرة ٣٠٧
٤- نظافة اليد والعفة عن المال العام..... ٣١٠
٥- الحذر من فتنة النساء..... ٣١٠
٦- مراعاة الأولويات في العمل الاجتماعي ٣١٢
٧- تفعيل الجمهور..... ٣١٥
٨- العمل بصورة جماعية ومؤسسية وقانونية..... ٣١٨
٩- البعد عن المن والأذى ٣١٨
المبحث السادس: فوائد وآثار العمل الجماعي في نشر الدعوة وتنمية المجتمع.....
١- تكوين رموز إسلامية من أهل الخير والصلاح يلتف المجتمع حولها..... ٣٢٠
٢- تشغيل الطاقات المعطلة في الأمة..... ٣٢١
٣- تأكيد عظمة وصلاحية الإسلام وأنه حل لمشكلات الناس ٣٢٢
٤- صقل وتنمية الأفراد ٣٢٣
٥- تحقيق معاني الإيمان عملياً وتلبية الأشواق الروحية للمسلم ٣٢٣
٦- التخفيف عن الناس بقضاء مصالحهم والقيام بما يهمهم..... ٣٢٤
٧- زيادة وتقوية انتماء الأفراد وولائهم لدينهم ومجتمعهم ٣٢٥
٨- رعاية الطبقات الكادحة وهي أهم رصيد للدعوة..... ٣٢٥
٩- مساعدة الدولة في القيام بواجباتها ٣٢٦

١٠- تحقيق إيجابية المجتمع وإعادة القيم الإسلامية إليه ٣٢٧
١١- حماية المجتمع الإسلامي من الاستغلال الخارجي..... ٣٢٧
أهم المراجع..... ٣٣٥